الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

تخصص أدب عربي قديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

تحت عنوان:

التصوف عند بن الفارض

-التائية الكبرى أنموذجا-

تحت إشراف:

د-مكروم سعيد

من إعداد الطالبة:

- بن دراعو سارة

السنة الجامعية:

2018-2017

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما الله تعالى:

"واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربيان صغيرا"

إلى حبيبة قلبي ومنيرة دربي إلى من سهرت من أجل سعادتي ولم سعادتي ولم تبخل بحنانها وعطائها لي "أمي الغالية"...

إلى رمز الكفاح إلى من يعطي ولا ينتظر إلى الذي دعمني في إتمام دراستي وأرشدني إلى طريق النور "أبي العزيز"...

إلى من تشاركت معهم في رحم الأمومة وقاسموني حلاوة الحياة وقساوتها إلى رسموا الابتسامة على ملامح وجهي

إلى من نقشوا ذكراهم على قلبي إلى كل الزملاء والأصدقاء الذي جمعني بهم القدر

إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر أدب العربي دفعة 2018.

سارة

شكر وعرفان

شكر وعرفان لله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه ورزقني العقل وحسن لتوكل عليه سبحانه وتعالى أحمده وأشكره على نعمه وحسن عونه،وللمقتفى أبي القاسم المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربّي وسلامه عليه.

ولأستاذي ومشرفي وقدوتي ومثلي الأعلى"مكروم سعيد" شكر وعرفان على قبولها الإشراف على مذكرتي وعلى حكمة توجيهاته التي كانت نورا تسير على ضوئها خطواتي.

ولجميع أساتذتي بجامعة مستغانم _قسم الأدب العربي_ وأزف شكري،فقد كان لي حظ في الاطلاع على ثمرة فكرهم وأريج تجاربهم.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

مقدمة

الحمد لله وحده،والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،أما بعد:

التصوف حركة دينية ظهرت في العالم الإسلامي في نهاية القرن الثاني الهجري،بدأت في إطار نزاعات فردية،ذعت إلى الزهد والتقشف،ثم أصبحت طريقة يعرف بها أصحابها كشكل من الأشكال الالتزام الروحي والديني،لكنها بعد القرن الخامس الهجري أصبحت مدرسة نظرية فلسفية لها رؤية للعالم والوجود وقد قام التصوف على مبادئ روحية،ما كون لدى أصحابه فلسفة قوامها السلام والأمن والمؤاخاة،وبند الصنف والعداء والبغض،ونبذ ملذات الحياة والتجرد عن ضروراتها إلا أن الزهد في الإسلام لا يعني هجر الدنيا وترك العمل فالإسلام دين وسط واعتدال "لا يدعو إلى الرهبانية والتطرف"

والاهتمام بالتصوف ليس حديث الساعة،بل بل تناوله المؤرخون والعلماء العرب والمسلمون من أمثال القشيري والكلاباذي وابن سينا والغزالي وابن خلدون،وإذا كانت الحياة الصوفية تعكس أعمق وجهات النظر اتجاه الوجود الدنيوي،فإنها تمثل أيضا أعلى مظاهر التقوى الدينية النابعة من الإنسان والله تعالى.

إن التصوف ضرورة،كونه يمثل الجانب الوجداني في حضارة الأمة،فتاريخ الأمة الإسلامية يؤكد أن التصوف كان الضمير الحي والنابض الذي أشاع الصدق في وجدان هذه الأمة،فقد وضع القواعد التي تحدد المعاملة بين الإنسان والله،وبين الإنسان والإنسان به تبين أن "الباطن"هو ما يتشكل به "الظاهر"تشكلا صحيحا ويبقى التصوف ضرورة من حيث كونه حقيقة العبادات إذ هو يقول:يتلازم القلب والجوارح،فالصلاة مثلا،بالمفهوم الصوفي ليست حركات وسكنات وتلاوة آيات فقط،بل هي ارتقاء ومعراج ذوقي في أوقات يقف فيها العبد بين يدي مولاه والصوفي بحكم التعريف هو من صف قلبه من الشوائب وكبح نفسه،وهو من تفتحت بصيرته وتكشفت الغشاوة عن عينيه وانغرست التقوى بداخله واقترب من الحضرة الإلهية وأيضا هو مجاهدة النفس وترويضها،والحد من تكاليفها في الدنيا،وإعدادها خير إعداد لحياة الآخرة ذات خلود.

والغاية من التصوف فهو التربية الروحية التي يقوم بها المربي الروحي نحو مريديه فيطهر قلوبهم من نزوات النفس الأمارة بالسوء،ويغرس فيها بذور الفضيلة السامية التي ترقى بهم الحضيض إلى ذروة التكامل الإنساني وبناء المجتمع على أساس التمسك بمبادئ الدين الصحيح،فيجتمع أفراد المجتمع على الأخلاق،وتكون منطق أي فعل أو سلوك إنساني.

والاجتماع على الأخلاق هو الاجتماع غلى الأخوة الإسلامية والمساواة والإيثار،فالصوفي الحق هو من يجتمع في مسلكه بين الشريعة والحقيقة،وأن يكون موقفه في المجتمع موقف المجاهد المصلح بالرجوع إلى الينابيع الحقيقية للدين الذي يتجسد من خلالها الإنسان الكامل الصالح أو المتصوف الحق .

ومن هؤلاء الشعراء ابن الفارض الذي اقتصر في ديوانه باستثناء الألغاز التي يشك بعض الدارسين نسبتها إليه،على غرض شعري واحد وهو الغزل،غير أن غزله يختلف عما عرفه الأدب العربي،لأن موضوعه ليست المرأة البشرية،وإنما هو الذات الإلهية،وقد اتضح لنا بعد الأعوام الخمس التي قضيناها في صحبة الشاعر أن انزياح ألفاظه عن معاني المعروف إلى معان روحية صوفية.

وتأسيسا لما سبق فإن ديوانا شعريا مثل هذه الوفرة من التميز اللغوي وهو من أشعر المتصوفين،يلقب بسلطان العاشقين،وفي شعره فلسفة تتصل بما يسمى "وحدة الوجود"حبب إليه سلوك طريق الصوفية،فتزهد وتجرد،كان سيد شعراء عصره وسيخ" الاتحادية"وفي هذا البحث حاولنا الإجابة على عدة تساؤلات حالت في خاطرنا

1)ما هو التصوف؟وماهو التصوف عند ابن الفارض؟

2)ماهي مذاهبه؟وما هي ملامحه في شعر ابن الفارض؟

_ومن بين الأسباب والدوافع التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع المعنون ب"التصوف عند "ابن الفارض"رغبتي الجامحة في التعرف على شخصية ابن الفارض والتصوف عنده

_أهمية موضوع البحث حيث أنه يشكل منعرج مهم في المجال الأدبي

_فضلا عن تطلعي إلى سيد العوز الذي يعتريني في موضوع التصوف

واقتضت الدراسة أن تقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول، فالفصل الأول مضمون بمفهوم التصوف،تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث فالمبحث الأول التصوف لغة،والمبحث الثاني التصوف اصطلاحا،والمبحث الثالث نشأة التصوف،أما الفصل الثاني الموسوم بمذاهب التصوف الإسلامي وخصائصه وقد تناولنا فيه ثلاثة مباحث،فالمبحث الأول نتحدث فيه عن التصوف السني،والثاني التصوف الفلسفي والثالث التصوف الطرقي،بينما الفصل الثالث الذي يعتبر فصل تطبيقي فقد جاء تحت عنوان شعر التصوف عند ابن الفارض،بحيث عالج ثلاثة مباحث،فتطرقنا في المبحث الأول إلى النزاعات المؤثرة في شعر ابن الفارض،والمبحث الثاني تعريف الرمز الصوفي،أما المبحث الثالث تحليل القصيدة التائية الكبرى لابن الفارض،وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة واستحصلنا أهم النتائج فيها

وفي الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:صالح فوزان الفوزان،حقيقة التصوف،وموقف الصوفية منت أصول العبادة والدين.

وعند انجاز هذا البحث واجهتني كثيرا من العراقيل والصعوبات من بينها ضيق الوقت وقلة المصادر والمراجع وطول البحث

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والاحترام والتقدير إلى الأستاذ المشرف مكروم سعيد وللجنة المناقشة

المبحث الأول: التصوف لغة:

مفهوم التصوف:

لغة: الصوفي مركب من حروف أربعة الصاد، الواو، الفاء،الياء فالصاد صبره وصدقة وصفاؤه،والواو وجدة ووردة ووفاؤه والفاء فقده وفقرة وفناؤه،والياء للنسبة إذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرته .

كثرة القول خول اشتقاق كلمة (صوفي) فذهب جماعة من الصوفية إلى القول بأنه مشتق من الصفاء،وأن الصوفي من خاصة الله الذين ظهر قلوبهم من كدوات الحياة،وقال الآخرون :أن اشتقاقها من الصف الواحد،لان الصوفي، من حيث حياته الروحية،في الصف الأول، لاتصاله بالله تعالى، وقال غيرهم، أنه من الصفة،لأن الصوفي تابع لأهل الصفة وهو اسم أطلق على جماعة من أصحاب رسول الله،رضوان الله عليهم، منقول من صفة المسجد النبوي التي بناها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت منزلا لهم.(1)

صوفية:

هم أمناء الله عزوجل في أرضه،وخزنة أسراره وعلمه وصفوته من خلقه فهم عبادهم المخلصون، وأولياؤه المتقون،وأحباؤه الصادقون الصالحون،منهم الأخيار والسابقون،والأبرار المتقربون والبدلاء والصادقون، هم الذين أحيا الله بمعرفة قلوبهم،وزين بخدمته جوارجهم، وألهج بذكره ألسنتهم، وطهر بمراقبتهم أسرارهم، سبق لهم منهم الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية.

1_رفيق العجم ،موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان الناشرون ،ص 556.

فإنـه يصـح إطـلاق وصف"الصـوفي"لمن لـبس الصـوف لكـن هـذا لـيس محـل خلاف،إنمـا الخلاف في هذا اللقب الذي أطلق على المتصوفة"الصوفية"فإنه وأن ذهب جمع المتصوفة وصرح بمنع اشتقاق لغوي وجعلوه محضا وبهذا قال" وبهذا قال "القشري" و "الهجويري".

قال القشري:"وليس شهد لهذا الاسم من حيث العربية فيه أنه كاللقب".

وقـال الهجويري:"واشتقاق هذا الاسم لا يصـح علـى مقتفى اللغة، من آي معنـى، لان هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس يشتق منه، وهم يشتقون الشيء من شيء مجانس لـه،وكل ما هو كائن هذا الصفاء، ولا يشتق الشيء من ضده، وهذا المعنى من الشمس عند أهله، ولا يحتاج إلى العبارة[1].

لطف الله خوجة،موضوع التصوف،سنة 1432،فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر خوجة،ص 24.

صوف:

قال أبو موسى:كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ويركب الحمار و يأتي مدعاة الضعيف.

الصوف لباس الأنبياء،وحلية الأصفياء،فمن لم يتخلق بأخلاقهم فليس له أن يلبس لباسهم،ولا يتحلى بحليتهم،فإن ذلك كاستهزاء بهم.

صوفي:

مثل "ذو النون المصري" رحمه الله الصوفي، فقال: "هو الذي لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب،وقال أيضا هم قوم أثروا الله تعالى على كل شيء فآثارهم الله على كل شيء.

قال "لأبي الحسنى أحمد بن محمد النوري" رحمه الله: من الصوفي؟فقال:من سمع السماع واثر الأسباب".

سأل آخر عن معنى الصوفي فقال: "معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية نزل منازل الحقيقة وقارن أحكام الشريعة، فإذا فعل ذلك فهو صوفي لأنه قد صوفي".

الصوفي يسمى بالصوفي لأنه يلبس ثياب الصوف، وقال جماعة أنهم سمو الصوفية لأنهم في الصف الأول وقالت طائفة سمو ذلك لأنهم يتولون أهل الصفة" وقال آخرون أن هذا الاسم مشتق من الصفاء[1].

1_رفيق العجم،المرجع السابق، ص 553

تعددت معاني لفظ الصوفية من جهة الاشتقاقات المتنوعة ولعل أولى هذه الاشتقاقات يتصل بلبس الصوف، والذي هو علامة على الفقر والزهد في الحياة، ومتاعها الزائف، وهناك اشتقاق ثان يربط لفظ التصوف في اللغة بالصفاء، أي الطهارة الروحية وهناك معنى ثالث للصوفية يرجعه البعض إلى اللفظ الإغريقي الأصل،وهو صوفيا، ويعني الحكمة .

1_الأصل الأول:وقد رأينا أنه ينسب الكلمة إلى الصوف أي أن كلمة "تصوف" مصدر للفعل "تصوف" للدلالة على لبس الصوف،وهذا يؤكد الصلة بين التصوف والزهد في معناهما العام، فقد كان الصوف رمز للحياة الزهد، ومظهر للتقشف، كما أنه لباس للأنبياء عليهم السلام، فقد روي عن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ أنه خرج ذات مرة وهو يلبس" جبة من الصوف جباب الروم"، وهذا المعنى ذكره صاحب كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف حيث يقول:"إنما سمو صوفية للسهم الصوف" كما أكد "زكي مبارك" في كتابه التصوف الإسلامي في الأدب الأخلاق، حيث يرى أن نسبة الصوفي إلى الصوف هي أصح الفروض.

2_الأصل الثاني: هناك معنى ثان يربط لفظ التصوف في اللغة العربية بالصفاء، وذلك عندما ينقطع عن الدنيا، ويطهر نفسه وأفعاله من جميع الشهوات والنزوات حتى يصل إلى درجة الصفاء يقول "الكلاباذي" في باب لقولهم في الصوفية لما سميت بالصوفية صوفية "وإنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء أثارها".

1_عبد الحميد هيمة الخطاب الصوفية وآليات التأويل قراءة في الشعر العربي المعاصر،دار الأمير خالد 2014،ص 67.

_قال "بشر بن الحارث":" الصوفي من صفا قلبه لله، وقال بعضهم الصوفي من صفت الله معاملته، فصفت له من الله عزوجل كرامته"

_ وجاء في اللمع "للسراج الطوسي" كذلك أن الصوفي" مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عزوجل في كل وقت بشرط الوفاء"

_ قال"القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري" رحمه الله تعالى: (للتصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن ونيل السعادة الأبدية) ت في (929 هـ).

_ يقول "الشيخ أحمد رزوق" رحمه الله: " التصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها الله تعالى كما سواه.والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول"علم التوحيد" لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحليه بالإيقان، كالطلب لحفظ الأبدان، وكنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك ت(846 م_989 هـ) بعين فاس.

1_ المرجع نفسه ص 69

2_ الشيخ عبد القادر عيسى رحمة، حقائق عن التصوف، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية ط4 ص8

فلقد نقل ا"لطوسي أبو نصر السراج" في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفي، في صوفي أنه قال "كان في الأصل صفوى، فاستقل ذلك فقيل : صوفي و يمثل ذلك نقل عن "أبي الحسن الكناد" : وهو مأخوذ من الصفاء وينقل "الكلاباذي أبو بكر محمد" الصوفي المشهور عن الصوفية أقولا عديدة في أصل هذه الكلمة و اشتقاقها، فقال " قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء أثارها، وقال"بشر بن الحارث" : الصوفي من صفت الله معاملته له من الله عزوجل كرامته، وقال قوم : إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عزوجل بارتفاع همسهم إليه، وإقبالهم عليه، ووقوفهم سائرهم بين يديه [1]

ونجد "ابن خلدون " إن كلمة "تصوف " مشتقة من الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع، إذ يقول"القشري" : "والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفته الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"[2]

كما نجد رأي "الجاحظ" : " الذي يقر بأن الصوفية هم النساك وذلك في كتابه (البيان و التبيين) وفيه يتبين لنا رأي الباحث " محمد بن القاسم الصوفي " الذي لقب بالصوفي لأنه لم يكن يلبس إلا الصوف الأبيض [3]

غير أننا في هذا التعريف نجده ميز لنا لون الصوف وهو اللون الأبيض الناصع عن سائر الألوان الأخرى .

1_احسان الهي ظهير،التصوف المنشأ والمصادر، ادارة الترجمات السنة، ط1، 1406 1976 ص 20

2_ ابن خلدون،المقدمة، دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد مروة مكة المكرمة،ط4،ص 467

3_ أبو عثمان الجاحظ،البيان والتبيين،القاهرة،ج1، 113هـ،ص128

لا شك أن "عبد القادر بن عبد الله السهرودي" قد نظر بإمعان فيما أورده "القشري" وتوقف كثيرا حول وجاهة أن يلقب من لبسوا الصوف صوفية " ولما كان حالهم سير وطير لتقلبهم في الأحوال، وارتقائهم من حال إلى حال أعلى منه لا يقيدهم وصف ولا يحسبهم نعت، فلما تعذر تقيدهم بحال لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم، نسبوا إلى ظاهر اللبسة، وكان ذلك أبين في الإشارة إليهم وداعي إلى حصر وصفهم، لأن لبس الصوف كان غالبا على متقدمين من سلفهم وفيه معنى آخر هو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ إلى ثقلهم من الدنيا، وزهدهم إلى ما تدعو النفس إليه،بإلهي من الملبوس الناعم، حتى أن المبتدأ المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقليل، ويعلم أن المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم عند المبتدئ، والإشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم لهذا أنفع وأولى أيضا غير هذا المعنى مما يقال أنهم سموا صوفية لبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى كان ألقى بحالهم، وأيضا لان لبس أحكم ظاهري على الظاهر من أمرهم والحكم بالظاهر أرفق وأولى، فالقول بأنهم سمو الصوفية لبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع"[1] .

فقد وأوفق "عبد الحليم محمود" عن نسبة التصوف إلى الصوف حيث قال:"إذا كانت الكلمة تنسب إلى الصوف فهي كلمة موفقة على التوفيق " وكان شرحه لهذا القول لذلك فإنها هيأت الجو للظهور والشيوع لأنها تدل على معاني وثيقة الصلة بالتصوف، كالصفاء ذو الصلة بالتصوف الظاهرة "والصف" الصف الأول في الجهاد، جهاد العدو وجهاد النفس "والصفة" صفة مسجد الرسول –صلى الله عليه وسلم- التي كان يعيش فيها وهبوا أنفسهم للجهاد، والصفة" الصفة الجميلة" [2]

1_عبد القادر بن عبد الله السهرودي، عوارف المعارف دار الكتاب العربي،بيروت،ص 60_61

2_عبد الحليم محمود، المنقد من الضلال،ط1،ص159

وأيده في هذا الباحث العربي "محمد لطفي جمعة" ويرجع السبب في ذلك إلى أن نسبة الكلمة على الصوف أو أي مصطلح آخر يبعد الصوفية عن الحكمة الإلهية بل ينسبها إلى الصوف إلى الظاهر والشكل لا غير، فأصحاب هذا الرأي يعطون قوة وتأييد لمن يزعم أن التصوف الإسلامي وليد الفلسفة (الأفلاطونية) لكنه رأي باطل [1] .

ثم نجد روايته في حديثه إلى "إبراهيم بن المنذري " عن " عبد العزيز بن عمران" أنه قال: لفظة الصفاء: من نسبوا كلمة التصوف إلى الصفاء، فيقول " أبو الكتابي" المتوفى سنة(322):" التصوف: صفاء ومشاهدة، وكان تفسيره لها تبين اللفظتين بأن أحدهما وسيلة وهي الصفاء،أما الثانية فهي غاية وهي المشاهدة ، فالتصوف هنا طريق وغاية ويرد في تسميته لجماعة الصوفية لصفاء أسرارها ونقاء أثارها[2]

1_ عبد الحليم محمود ، المرجع نفسه ص156

2_ عبد الحليم محمود، المنقد من الضلال،ط2، ص 165.

المبحث الثاني:التصوف في الاصطلاح:

اصطلاحا:

يقول التوحيدي :"التصوف اسم يجمع أنواعا من الإشارة وضروبا من العبارة " ، فهو علم يدور بين إشارات إلهية وعبارات وهمية " و التفسير الصوفي ينقل مفهوم النص الإسلامي من الظاهر إلى الباطن بعبارة تفصح كما يشعره العارف في قلبه من أفكار متضاربة و أحاسيس متدافعة و احباطات متراكمة تأتت لمن وطأة الحياة الاجتماعية وأشكالها التي فرضت نفسها مع نمو التحضر.

وينقل المتصوفة أحيانا الباطن إلى العلن بعبارة تسمى شطحا، إذا كانت خالية من أي رقابة أو تنظيم، و المقصود بالتنظيم اعتماد بنية المعرفة الفقهية ونهجها وبناء اللغة بدلالتها ومبانيها فهو كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه، مقرون بدعوى[1]

الباحثين في يتجه معظم الباحثين في تعريف التصوف إلى الجانب الأخلاقي على أنه شائع عند الصوفيين أنفسهم، وعند غيرهم من الباحثين فيه و التاريخ له، يقول " أبو بكر الكتاني " المتوفي سنة (233هـ) " التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء "[2]، كما سئل " أبا محمد الحريري " المتوفى سنة (311هـ) فيما روته الرسالة القشيرية بأن التصوف " الدخول في كل خلق سني و الخروج عن كل خلق دني "

ويذهب " السراج الطوبي "في كتابه (اللمع) حين يروي لنا " أما التصوف و نصه وماهيته فقد سئل " محمد علي القصاب " وهو أستاذ " الحفيد " _رحمه الله _ عن التصوف ماهو، قال : أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم مكرام "[3]

1_ رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي،مكتبة لبنان ناشرون،ط1999،1ص177.

2_لأبي حامد الغزالي،المنقذ في الضلال،مطبعة صبيح وأولاده، مصر1371هـ ص160_161

3_ المرجع نفسه،ص 161.

التصوف :

هو انقطاع التام عن الدنيا، و الانصراف إلي العبادة و الإستفراق في ذات الله، و الذوبان في عالم الروح الأرحب، وهو يشكل بحد ذاته مذهبا فكريا قائما بنفسه، ويحتاج إلي بحث مستقل ليس قي هذا الكتاب مجال الحديث عنه، أو انتخاب نماذج شعرية منه[1]

_ ورد في الموسوعة الفلسفية العربية في تعريف التصوف أنه، "فلسفة حياة تهدف إلي الترقي بالنفس أخلاقيا و تتحقق بواسطة رياضات عملية معينة تؤدي إلي الشعور قي بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى و العرفان بها ذوقا لا عقلا، وثمرتها السعادة الروحية ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية "

- التصوف ترق، وسموا خلقي للنفس البشرية بقية الوصول إلى تحقيق الفضائل الإنسانية، والقيم الخلقية النبيلة.

- الفناء في الذات الإلهية،وهي تجربة ذاتية وحالة نفسية خاصة لا يعود فيها الصوفي بشعور ذاتيته،لأنها فنيت في الذات الإلهية فيصبح لا يشعر بوجوده،ولا يعلم من حوله لأنه فني عن ذاته، وعن الوجود، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا [2].

1_ يحي الشامي،أروع ما قيل في الزهد، دار الفضائل الانتاج الاعلامي، السوري ط1 1430-2009، ص5

2_ عبد الحميد هيمة،المرجع السابق،ص 74

فالصوفية تشير إلى الصفاء ويقصد به التوحيد الخالص الذي أقرت به كل الأرواح قبل خلق الأجساد، وهناك التواضع وهو واحد من أهم الأخلاق الصوفية التي يتحلى بها المبتدئ، والواصل على السواء، وهو علاج لما جبلت عليه النفس من الكبر، والتصوف ليس بالظاهر والأشكال، ولا لبس المرقعات أو تعليق المسابح، بل هو أن يعمر الإنسان صدره بالصلة بالله، والخوف منه، والرجاء فيه، والله جل جلاله يقول في سورة الطلاق " وَمَنْ يَتَقِ اللهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ، وَمَنْ يَتَوَكَلْ عَلَى اللهِ فَهُو حَسْبُهُ، إنَ اللهَ غَالِبُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ لِكُلِ قَدْرًا"[1].

ونجد "الكلاباذي " أن بعض ما سئل عن ما هو صوفي؟ فقال:" الذي لا يمتلك وفي هذا القول تتضح بداية الطريق الذي ينبغي لسالكه المتصوف إتباعه [2].

- كما ورد في قواعد التصوف " لأحمد زروق "إذ يقول: ماهية الشيء حقيقته وحقيقة مادلت عليه جملة، وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوده تبلغ نحو الألفين"، وشمل جملة التعاريف الآتية المنطلقات الأولية للتصوف والتي تجمع بين معاني الزهد والتقشف وأذكار الذات، والإيثار والانصراف عن الدنيا الضروري منها ويسلك المعاني يأتي قول "أبي الحسن النوري" :"التصوف الحرية والكرم، وترك التكلف، والتمسك بالسخاء"[3].

1_ مجدى كامل، أجمل قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي سورية، دمشق، حجاز،ط1 1417، 1997 ص6

2_ الكلاباذي ، المرجع السابق ص6

3_ أبو العباسي أحمد زروق، قواعد التصوف، تحقيق، محمد زهري النجاز،ط2، القاهرة ، المكتبة الأزهرية، 2004 ص 3

والصوفي عند "الشبلي" يكون:"منقطع عن الخلق متصل بالحق" وقال "القشيري" عن المتصوفة:"جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم عن كافة عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق والدائرون في عمود أحوالهم مع الحق بالحق، صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووفقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية [1]

وسواء أثبتت لهم هذه المكانة الجليلة عند الله أم لهم تثبت فلا أقل من أهم قوم "سعوا إلى الله فلم يعبأوا فما سواه وتطلعوا إلى جماله الباهر فلم يرق في عيونهم ما عداه ورأوه بأرواحهم الصافية أن ما عند الله له خير وأبقى فسلكوا طريقه [2]

1_ القيشري، الرسالة القيشرية،داب الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1 ،ص 8 .

2_ الجيوشي،محمد إبراهيم،بين التصوف والأدب،مكتبة الأنجلو ص5.

قال "أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد":والصوف لضأن وشبهه، ورغبات الصفا تسمى صوفه القفا، والصوفانة بقلة رغباء قصيرة، وصوفة: اسم حي من تميم وأل صوفان الذين كانوا يحيزون الحجاج من عرفات "وقال "بن دريد":"والصوف معروف يقال أخذ بالصوفة قفاه أنه أخذ بالشعر السائل في نعرته، وصوفه، قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويحيزون الحاج وقال "بن زكريا" هو الصوف المعروف، وصوفة قوم في الجاهلية يخدمون الكعبة ويحيزون الحاج وحكى " أبو عبيدة" أنهم أفناء القبائل تجمعوا فتشبكوا كما يتشبك الصوف"[1)]

1_فلاح بن اسماعيل بن أحمد العلاقة من التشيع والتصوف،رسالة دكتوراة،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،اشراف عبد الله بن محمد القيمان 1411هـ،ص6

المبحث الثالث: التصوف الإسلامي ونشأته:

التصوف الإسلامي ونشأته:

التصوف فكر إسلامي نشأ مع الإسلام وبدأ بحركة الزهد ثم تطور إلى فكرة التصوف فالإسلام والقرآن هما المنبع الأول للتصوف وكلمة التصوف لم توجد في اللغة العربية إلا في القرن الثاني للهجرة وأول من سمي بالصوفي هو"أبو الهاشم" الصوفي في القرن الثاني، وأول رجال مدرسة التصوف هم "الحسن البصري" (115هـ)، وكان المتصوفون في القرن الأول يطلق عليهم النساك والقراء والزهاد والفقراء حتى ظهر في القرن الثاني لفظ التصوف والصوفي (1)

سوف نلاحظ أن لفظ التصوف كان قد الأمر للتعبير عن معاني الكمال الديني على نحو ما يذكر الشيخ " مصطفى عبد الرزاق" في دائرة المعارف الإسلامية فحين أخذ الناس في مخالطة الزخارف الدنيوية وكاد يطفي حب المال على ما غرسه الدين في النفوس من الورع- راح الصوفية يخالفون الناس لعبقرهم وروعهم.

ويحدد "ماسينون"أول تاريخ لظهور اللفظ الصوفي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة" صابر بن الحيان" الذي كان يسمى الصوفي وكان له مذهب صوفي خاص به، وجاء هذا اللفظ مع " أبو الهاشم الكوفي"(2)

1_ محمد بن المنعم خفاجي، التصوف في الإسلام وأعلامه، دار الوفاء لدار الطباعة والنشر،ط1، 2002م، ص 8

2_ إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار ومكتبة الإرساء للطبع والنشر والتوزيع 2000 م، ص 11

فمن الطبيعي أن المصدر الأول للتصوف الإسلامي، فقد استمد من القرآن والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم لم تكن تخرج عن نطاق القرآن والسنة، ويكون المصدر أن الأساسيان للتصوف في الحقيقة الكتاب والسنة، ومن القرآن والسنة استمد الصوفية أول ماستمدوا أرائهم في الأخلاق والسلوك، ورياضاتهم العلمية التي اصطنعوها من أجل تحقيق هدفهم من الحياة الصوفية (1)

والتصوف الإسلامي إن كان تصوفا علميا، إلا أن له طابعا خاصا، فهو مرتبط بأصول الشريعة، بعيدا عن الرياضات العنيفة، والتعرفات الشاذة، التي كانت موجودة، في التصوف الهندي أو الفارسي أو غيرهما، فهو تصوف يقوم على أسس الدين الإسلامي بشقيه الكتاب والسنة، ومن أهم مميزاته التوحيد ثم التقشف والزهد والابتعاد عن المحرمات جميعا، ثم حسن العبادة والسير في الطريق المستقيم، وكل هذه الصفات مترابطة ومتكاملة، وهذا ما كان يعرف في البدايات الأولى للإسلام، بالورع والتقوى، بل كان اهتمامهم هو الخوف من الله تعالى وابتغاء رضاه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الإحسان:"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(2)

إن التصوف خليق بأن يصحب كل نزعة شريفة من النزاعات الوجدانية، والأساس أن يكمل الصدق ويسود الإخلاص بحيث لا تمتلك النفس أن تنصرف عما آمنت به واطمأنت إليه، في عالم المعاني، وكذلك يتمثل التصوف في معاني كثيرة، فيكزن في الحب، ويكون في الولاء، ويكون في السياسة حيث تقوم على مبادئ تتصل بالروح و الوجدان(3)

1_ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط3، ص37_ص38

2_ عبد المحسن سلطان، التصوف الإسلامي في مراحل تطوراته، دار الأفاق العربية،طبعة 1423_ 2003 ص12

3_ زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 26/ 2012/8

فإن في غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام، فإنه أول من ظهرت الصوفية في البصرة، وأول من ابتنى دويرة صوفية بعض أصحاب " عبد الواحد بن زيد" وهو من أصحاب " الحسن البصري" وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف، ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار [1]

ذلك إننا إذا رينا إلى القرآن الكريم فسنجده جاءنا بأنواع مختلفة من الأحكام الشرعية،وهي تندرج بوجه عام تحت ثلاثة أقسام رئيسية :العقائد والفروع من العبادات والمعاملات،والأخلاق،والحقيقية أن أخلاق الإسلام هي أساس الشريعة بحيث إذا افترقت أحكام الشريعة أسوء في ذلك الأحكام الإعتقادية أو الأحكام الفقهية إلى الأساس الخلقي كانت صورة لا روح فيها،أو هيكلا فارغا من المضمون[2]

ومنه يتجلى لنا أن التصوف نشأ قبل الفتوحات الإسلامية وبعد ظهور الإسلام،أصبح مصدره الأول هو القرآن الكريم الذي اشتقت منه حركة التصوف ففيه آيات كثيرة تدعوا إلى إطراح الدنيا وتحث على الزهد وتشجع على التقشف وقد أراد الله بها أن يصرف الأعراب المنهمكين في اللذات وشهوات الدنيوية وأن يهدي بيه ما يشاء من عباده أنه هو القرآن الكريم مصدر نجاة الإنسان وسعادته ومحور حشرانه وشقائه،ويقول عزوجل"وَمَا الحَيَاةُ الدُنْيَا إِلَا مَتَاعُ الغُرُورْ"([3])

1_ صالح بن فوزان الفوزان،حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين،دار القادر للنشر والتوزيع،الرياض 1422،ص7.

2_أبو الوفا القيمي التفتازاني،مدخل إلى التصوف الإسلامي ص12.

3_صورة آل عمران،الآية 185.

فالدنيا فانية ووجه الله لا يفنى والآخرة هي الخلود فمن يعمل صالحا يعمله للآخرة لا لدنياه وكذا قوله"المَالُ وَالبَنُونْ زِينَةُ الحَيَاةُ الدُنْيَا وَالبَاقِيَاتِ الصَالِحَاتِ خَيْرُ عِنْدَ رَبِكَ ثَوَابً وَخَيْرُ أَمَلًا"([1]) لكن الله سبحانه وتعالى هنا في هذه الآيات لم يشأ أن يصرف عباده عن الدنيا بصفة مطلقة بل قصد بذلك الاهتمام بما هو أصلح وأبقى وأنفع في الآخرة لأنها الخلود الأبدي الذي هو حق العبادة ويقول جل جلاله أيضا"وَاتَبَعَ فِيمَا أَتَاكَ اللهُ الدَارَ الأَخِرَةَ لَا تَنْسَى نَصِيبَكَ مِنْ الدُنْيَا وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهِ إِلَيْكَ"[(2)]

لقد ساعد على ظهور تلك الصورة الجديدة للتصوف الإسلامي التي بدأت تخرج به عن هدفه الأصلي، وهو حسن العبادة بالإضافة إلى اختلاط الثقافات سبب ثان هام هو تلك الظروف السياسية المضطربة التي كانت موجودة وهي الدولة الإسلامية في ذلك العصر،والذي تتسم بالصراعات والفنن،ويسودها البذخ والترف، فقد وجد في هذه الاتجاهات التصوفية الجديدة الدخيلة،التي كانت تدعو من جوانبها إلى أنواع من العزلة والتأمل والعبادة الباطنية [(3)]

1_سورة الكهف،الآية 46.

2_سورة القصص،الآية 77

3_عبد المحسن سلطان،التصوف الإسلامي ص 13

4_عبد الجلي محمود،المنقذ من الضلال،دار الكتاب اللبناني،بيروت ط1، 1985،ص229.

المرجع السابق،ص 230

ويذهب "أبو الشيخ الأصبهاني" بقوله: أن التصوف نشأ في بلاد الإسلام على يد عبادة البصرة نتيجة لمبالغتهم في الزهد والعبادة ثم تطور بعد ذلك" فالبصريون كانوا مولعين بالعبادة والدين الإسلامي ويقول " أبو نصر الله بن علي السراج الطوسي" في كتابه (اللمع) في التصوف :أما قول القائل أنه اسم محدث أحدث البغداديون فمحال لأنه في وقت " حسن البصري" كان يعرف هذا الاسم،وقد روي عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معنى أربعة دوانيق فيكفيني ما معي(1)

وقد روي عن" سفيان الثوري" رحمه الله- أنه قال: لولا" أبو الهاشم الصوفي" لما عرفت دقيق الرياء مما دلنا على أن"سفيان الثوري" قد تأثر في تصوفه ب"هاشم الصوفي" حين نجا من المهلكات وتفطن إلى عاقبة الرياء كونه صفة مذمومة في الإسلام(2)

ويؤكد هذا القول صاحب كتاب التصوف الإسلامي الأستاذ "رينولد" لكني على يقين أننا إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق استحال علينا نرد أصله إلى عامل هندي أو فارسي، لزم أن نعتبره وليد الاتحاد الفكر اليوناني والديانة الشرقية أو بعبارة أخرى وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية (3)

وعلى هذا وجب علينا تعريض هذه المؤثرات وهل لها صلة بالتصوف؟

1_ عبد الحليم محمود،المنقض من الظلال،ط 2،دار الكتاب اللبناني_بيروت،سنة 1985،ص 229.

2_ المرجع السابق،ص 230.

3_عبد الحليم عبد الغني قاسم،المذاهب الصوفي ومدارسها،مكتبة مديولي،ط2، 1999،ص 28

1) التأثير الإيراني (الفارسي):

فقد رأى البعض البدء بحكم سابق هو أن العقلية السامية عاجزة عن الفنون والعلوم وذلك لفقرها في الخيال، ولافتقارها إلى التدقيقات الروحية والمرونة العقلية واللغوية ويرى البعض الآخر بأن التصوف الإسلامي قد تأثر بالديانة الزرداشية مثله مثل السياسة ويستدلون على ذلك بقولهم أن منصب الخلافة في العصر العباسي قد انتقل من دمشق عاصمة الأمويين إلى بغداد عاصمة العباسيين فقد استند إليهم مهنة التدوين والترجمة بالرغم من أنهم دخلوا الإسلام ودفعوا عنه فقد نقلوا أفكارهم الفارسية إلى المجال الإسلامي في كل شأن من شؤون الحياة والدليل الثاني أن هناك صلات بين العرب والفرس موجودة منذ دخول الفرس الإسلام ولهذا اتصل شيوخ الصوفية بالفرس كما أن جزءا كبيرا من الشيوخ أصله فارسي [1]

2)التأثير المسيحي: على أن تأثير العنصر المسيحي تزعمه مجموعة من الباحثين الغربيين ومنهم:"أسين بلاثيون"" ASINPALACIOS" و" نيكولسون""NECHOIN" فالتصوف له صلة بالمسيحية نتيجة اتصال العرب بالنصارى في بلاد الشام منذ العصر الجاهلي ودخولهم الرهبنة ولما دخلوا الإسلام نقلوا بعض المبادئ المسيحية إلى التصوف الإسلامي فقد تجلى هذا التأثير والتأثر في مايلي:

فظهر التشابه في بعض المظاهر مثل:استعمال الخرقة: في مقابل ما يتحمله الرهبان من ثوب غلى الكتفين SCAP VLAIRE ، واستعمال السبحة منذ أن ابتدأ بها الجنيد.

أما التشابه في بعض الموضوعات مثل:فكرة الحب الإلهي، واستحسان مقام التوكل والميل إلى حياة التبتل، ومحاسبة النفس التي أخذ بها بعض الصوفية، فبالنسبة للمبادئ المسيحية التي نقلت إلى التصوف منها[2]:

1_ المرجع السابق: عبد الحكيم عبد القي قاسم، ص 35

2_عبد الحكيم عبد الغاني قاسم،المرجع السابق،ص 35.ينظر

أ) الزهد الدنيا نتيجة كثرة انغماس الناس بالملذات.
ب) الهروب من الفتنة والاضطرابات.
ت) نقل فكرة الحلول والاتحاد إلى التصوف،التي نادى بها "ابن عربي" في نظريته وحده الوجود [1] .

ومن هذا المنطلق يؤكد لنا" د.صابر طميمة" في كتابه الصوفية معتقدا مسلكا" ويبدو أنه لتأثير الرهبة المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف، وهم في أديرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على امتداد الأرض التي حورها الإسلام بالتوحيد أعطى هو الآخر دورا التأثير الذي بدأ على سلوك الأوائل"

على أن التصوف بدأ عند الرهبان المسيحيين حيث كانوا يتجهون نحو أديرتهم (وهي المكان الذي يتعبدون فيه) فينقطعون عن البشر، ويلبسون الصوف.

3_ التأثير العبراني:

فمنهم من تأثر بالأصول و النزعة العبرانية و يثبت على وجود تأثير و تأثر: يعد" جولد تيستهر "gold.tiher" من بين اليهود الذين يعتقدون أن الصوفية الإسلامية قد تأثرت إلى حد كبير باليهودية، و يستدل على ذلك بأن بعد اليهود قد دخلوا الإسلام ووصفوا الإسلام كثير من الأحاديث التي تسمى بالإسرائيليات، وأن نظريتي التشبيه والتجسيم لدى اليهود تشابه نظرية اتحاد الحلول لدى الفلسفة الإسلامية على حد قول شيخ الإسلام"إحسان الهي ظهير" في كتابه (التصوف المنشأ و المصدر): عندما نتعمق في تعاليم الصوفية الأوائل و الأواخر وأقاويلهم المنقولة منهم المأثورة في كتب الصوفية القديمة و الحديثة نفسها نرى أنه شاسعا بينها و بين تعاليم القرآن و السنة [2]

1_ المرجع السابق،ص 35.

2_ صالح بن فوزان الفوزان،المرجع السابق،ص 13.

وكذلك لا نرى جذورها في سيرة لسيد الخلق محمد _صلى الله عليه وسلم_ وأصحابه الكرام البررة خيار الخلق الله وصفوة الكون، بل بعكس ذلك نراها مأخوذة و مقتبسة من الرهبة المسيحية و البرهمة الهندوكية وتنسك اليهودية [1]

ومن خلال هذا يتضح دور العبرانية ومدى تأثيرها في التصوف الإسلامي.

4_ التأثير الهندي:

أول من أشار إليه "ويليام جوتر""w. Johes" الذي قارن بين مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي وبين مذهب الفيدانتا،فحدث تلاقي بين الصوفية الإسلامية والديانة البوذية في حالة الفناء عند الصوفية توازي النرفانا (السعادة) أي أن يقرر كيف يصل إلى الفناء ولا يأتي إلا عن طريق التحرر من القلق، وقد ذكر "البيروني" أن الصوفية في الإسلام قد أخذوا من التناسخ في الأرواح فهي توازي لدنيا فكرة الحلول والاتحاد حين قالوا:"في الدنيا نفس نائمة ونفس يقظة" [2] .

ويقر"عبد القادر محمود" بأثر البوذية فيقول: "أن أثر البوذية في الأفق الصوفي الإسلامي قد بدأ قبل الميلاد بخمس مائة عام وقبل الفتح الإسلامي للهند وفي القرن الرابع للهجرة كان للبوذية أثرها الضخم في فارس مما يصل المصدر الهندي بالمصدر الفارسي"[3].

فاعتناق الزاهد المشهور"إبراهيم الأدهم"(ت 161م) لدليل كاف غلى ما قلناه حيث تروي إحدى الروايات أنه كان أميرا في الإسلامي وعالما في الفقه نشأ بالعراق والشام والحجاز ويرى أنه كان ذات يوم يمارس رياضة الصيد حتى سمع صوتا خفيا يوبخه على قسوته وطيشه،ومنذ ذلك اليوم صار يلتزم الزهد والتقشف فهذه القصة تشبه قصة تروى في الهند[4]

1_ صالح بن فوزان الفوزان،المرجع السابق،ص 14.

2_عبد الحكيم عبد الغاني قاسم،المرجع السابق،ص 32.

3_المرجع نفسه،ص 32.

4_ عبد الحكيم عبد الغاني قاسم،المرجع السابق،ص 73.ينظر

عن "بوذا" نفسه الذي كان أمير غنيا في بداية عهده"بالتصوف" والتقشف والتدين،ومما استقر أناه من هاتين الروايتين أن المتصوف "إبراهيم بن الأدهم"قد تأثر بالبوذي الهندي فصار بذلك زاهدا وصوفيا،حتى أطلق عليه (الجندي البغدادي) بأنه (مفتاح التصوف)[1]

التأثري اليوناني:

آخر الاتجاهات في بيان التأثيرات في التصوف الإسلامي،حيث كانت المحاولة الأولى من طرف"بن الحارث"ابن عمة الرسول_صلى الله عليه وسلم_ولكن هذه المحاولة نبذها الفكر العربي،ولم يصغ إليها وماتت كغيرها من محاولات الوافدة إليه،ولما انحصرت موجة الفتح الإسلامي في العصر الأموي لم يقوم المسلمون كغيرهم كفاتحين بتدمير الثقافات الأخرى التي تتعارض مع ثقافاتهم دليل على ذلك إبقاء العرب المسلمين على المدارس الفلسفية العلمية التي كانت في الإسكندرية.

كما تعرف العرب على الكتب اليونانية وعلى علماء اليونان وتركوا تزدهر ازدهارا كبيرا، وأهم هذه المدارس التي ازدهر فيها الفكر اليوناني القديم ممتزجا مع الفكر الشرقي القديم هي مدرسة "حبذ يسابور" وأول من نبغ فيها وانفصل عنها هو الكندي وتلاميذه [2] .

1_ عبد الحكيم عبد الغاني قاسم،المرجع السابق،ص 73.بتصرف

2_ المرجع نفسه،ص 41.

ولعل طرق الصوفية، بمختلف اتجاهاتها،وقد انتشرت انتشارا واسعا في هذا العصر،وتغلغلت بين الأوساط العامة والخاصة على حد سواء،لعلها في فلسفتها ودعوتها خير ما يتفق مع سياسة المماليك،فالصوفية في جملتها انصراف عن حياة الدنيا وزهد وتقشف وحرمان وقناعة،فالآخرة خير وأبقى،وجنات النعيم خير من منازل الأرض وخيراتها ونعمها وقد استباحها المماليك وسخروها لأنفسهم،وحرموها على غيرهم،واقتصر المتصوفون الأولون على العبادة والتفكر في ألاء الله،واقتنعوا في الدنيا بما سيد الرمق وكان لهم شأن عظيم في الحروب مع الفرنجة والتتار،إلا أن العقائد المختلفة وفلسفات دخيلة تسربت إلى التصوف الإسلامي،فتطور من شكله البسيط إلى أسلوب خاص في الحياة الدينية،له أماكنه الخاصة ونظمه وطرقه وطرائفه،وقد تطرف بعضها في السلوك والعقيدة والرأي،وساهم سلاطين المماليك في نشر التصوف واعترفوا به كطائفة دينية مستقلة،وخلفوا على شيخ كل طريقة،وأكرموا وفاته وقربوه من مجالسهم الخاصة،وفتحوا أمامه أبواب قصورهم[1].

1_ خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان،ط1، 2003 ص 426 .

المبحث الأول:التصوف السني

اتخذ التصوف في القرن الخامس اتجاها إصلاحيا واضحا على أساس من إرجاعه إلى حظيرة الكتاب والسنة،ويعتبر"القشيري" و"الهروي" من أبرز صوفية هذا القرن الذي نجوا بالتصوف هذا المنحنى الصوفي،وسينتهج نهجهما في الإصلاح الإمام"الغزالي"في النصف الثاني من هذا القرن،ويكتب بذلك الانتصار التصوف السني، فانتشر في نطاق واسع جدا في العالم الإسلامي.

"القيشري" ونقده لصوفية عصره:

"القيشري" شخصية هامة من شخصيات التصوف الإسلامي في القرن الخامس،وترجع أهميته إلى ما كتب عن الصوفية والتصوف في القرن الثالث والرابع من ذوي الاتجاه السني ولد "القيشري" واسمه "عبد الكريم بن الهوزان" (276هـ،)بالاستواء بنواحي نيسابور، وهو من أصل عربي وهناك التقى بشيخه أبي علي الدقائق المتوفى(412 هـ) وهو صوفي بارز فحضر مجلسه، وأخذ عليه طريق التصوف، وأشار عليه شيخه،بتحصل علوم الشريعة أولا، فدرس الفقه على الفقهية "أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الطوسي" المتوفى (405 هـ)، والكلام وأصول الفقه على "أبي بكر بن فورك" المتوفى(406 هـ) وتتلمذ أيضا على "أبي إسحاق الاسفرابيني" المتوفى (148 هـ)،ونظر كذلك في كتب "الباقلاني" ومن هنا تمكن "القيشري" من العلم بعقيدة أهل السنة و الجماعة كما استقرت على يدي الأشعري وتلاميذه وقد كان "القيشري" من أكبر المدافعين عن هذا المذهب في عصره ضد عقائد المعتزلة و الكرامية والمجسمة و الشيعة .

وقد وصف"ابن خلكان" "القيشري" بأنه جمع بين الشيعة و الحقيقة وقد توفي "القيشري" (465 هـ)[1].

1_ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني المرجع السابق : ،ص 149 .ينظر

من المتأمل في الرسالة القيشرية، يلاحظ في وضوح اتجاه "القيشري" لتصحيح التصوف على أساس عقيدة أهل السنة فيقول"أعلموا أرحمكم الله بأن شيوخ هذه الطائفة (الصوفية) بنوا قواعد على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من التوحيد ليس فيه تمثيل و لا تعطيل، و عرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نفس الموجود عن القدم، وقد يكون كلامه هذا شيء من المبالغة لكنه على أي حال بد لنا أن التصوف في عصره بدأ ينحرف عن مساره الأول من ناحية العقيدة، أو من ناحية الأخلاق و السلوك على السواء .

"الهروى" و موقفه من أصحاب الشطح:

وثمة صوفي آخر من صوفية القرن الخامس،ويستند تصوفه بوضوح إلى عقيدة أهل السنة،كما يعتبر من أصحاب الاتجاه الإصلاحي للتصوف،ومن المذكرين على أصحاب الشطحيات من أمثال "البسطامي" و"الحلاج".و"الهروي أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري"،ولد بهراوة من أعمال خراسان،عام (396 م)،وكان من أبرز فقهاء الحنابلة، ومؤلفاته في التصوف ضمه،و"الهروي" صاحي نظرية الفناء في التوحيد شبيهة بنظرية الجند،ويروي الهروي للفناء درجات ثلاث: الفناء اضمحلال ما دون الحق علما،ثم جحدا وحقا، ويشير إلى اضمحلال المعرفة وتلاشيها في المعروف وهو الله فيغيب الصوفي بمعروفه عن معرفته.

والفناء الثاني يشير إلى جحد سوى في حال الغيبة،وهو جحد أو إنكار غير حقيقي،فقد يغيب الصوفي عن العالم دون أن ينكر وجوده وهنا الفرق بين الاتحادية والهروي كما يقول "ابن القيم" فالتحادي يجهد سوى بالكلية،فيقول: <<ما ثم غير بوجه ما >>.

والفناء الثاني هو الاضمحلال الحقيقي،فبعد فناء الصوفي عن شهود السوى،نفى عن الفناء نفسه،ويقول " ابن القيم" أن هذا الفناء في التوحيد هو فناء خاص بالتوحيد [1] .

1_ _ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني المرجع السابق : ،ص 152 .ينظر

الإمام الغزالي والتصوف السني:

ويعتبر الإمام الغزالي أكبر مدافع في الإسلام عن الصوفي السني،وهو التصوف القائم على عقيدة أهل السنة والجماعة،وعلى الزهد والتقشف وتربية النفس وإصلاحها،ويتفق الغزالي في هذا مع صوفية الاتجاه الأولي في القرنين الثالث والرابع،ومع "القيشري" و"الهروي" وغيرهم من السابقين عليه الذين ينتمون إلى نفس الاتجاه على أن "الغزالي" أعظم هؤلاء جميعا من ناحية شخصيته ونفسيته.

لقد كان الصوفية الأوائل ولا سيما المعنيون بتاريخ التجربة الصوفية،فاستخرجوا من مصدري التشريع الإسلامي،الكتاب والسنة،ما يؤكد شرعية التصوف،وانتماء الأصيل للإسلام وذهب"الطوسي"إلى تقييد التصوف بأربعة أصول إسلامية وهي: الأول_ متابعة كتاب الله عزوجل، والثاني_ الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وأله وسلم، والثالث_ التخلق بأخلاق الصحابة و التابعين، والرابع _ التأدب بآداب عباد الله الصالحين.و قال "الكرماني" (ت 300هـ): من غض بصره من المحارم،وأمسك نفسه من الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره بإتباع السنة، و عودة نفسه أكل الحلال لم تحظى له فراسه"[2] .

ومنهم من يقول أن التصوف أخذ الأساس من سلوك الرسول _صلى اله عليه وسلم_و بعض الصحابة الذين أخذوا على أنفسهم بالعبادة والزهد، والتقشف ومجاهدة النفس،أي أنهما وصفوا البذور الأولى التي انبثقت منها روحه الحياة الروحية،ثم نمت وأتت أكلها في حياة التابعين ومن تلاهم فعلى هذا الزعم:أحوال _الرسول صلى الله عليه وسلم_ والصحابة _رضي الله عنهم _لم تؤت أكلها ولم تنضج الأحوال و المقامات في الأمة حتى جاء أولئك الخلوق المنحرفون وكل هذه المحاولات يائسة لتصحيح هذا الاتجاه الذي لا شك فيه مخالفات وبدعه[2] .

1_ أبو الوفا التفتازاني، ص 153
2_مجلة القسم العربي،جامعة بنجاب،لاهور_باكستان،العدد الرابع والعشرون،2017،دور التصوف في الأمن و السلام الاجتماعي، محمد الطاف، أبو بكر ص 260

وجاء في كتاب" اللمع": إن مدرسة الصوفية النقيـة،حمل فيهـا اللـواء: "السراج"و"القيشري" و"السلمي" و"الكلاباذي"،المدرسة التي حاربت فـي العنـف و القسوة"كل انحـراف فلسفي أو شطح ذوقي،تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامي .

ثم إنهم شرعوا في الثناء على التصوف،وأطلقوا على أئمتـه ألقـاب التسـجيل المطلقـة، والـذي نفهمه أن هذا الثناء خاص بالعدول منهم بحسب تصنيفهم، الملتزمين أركـان وتعـاليم الطريقـة دون من تبرؤا من طريقتهم .

يقول"الكلاباذي": "صفوية صوفية، نورية صفية، ودائع الله بين خليقتـه وصـفوته بـين بريتـه ووصياه لنبيه، وخباياه عند الصوفية وهم في حياته أهل صفته، وبعد وفاتـه خيـار أمتـه " (3)

.

1_ نشأة بدع الصوفية،فهد بن سليمان الفهيد،د،ت،د،ط، ص7

2_ الإنسان الكامل في الفكر الصوفي لطف الله بن عبد العظيم خوجة،الهدى النبـوي مصـر، دار الفضيلة السعودية 1429، ص 115.

تقسم الإسلامي للطريق الصوفية إلى"شريعة" و"طريقة" و"حقيقة" والطريقة أي الدرب الذي سلكه الصوفي تعرف بأنها الطريق الذي يتفرع من "الشريعة" لأن الشارع الواسع يسمى "شرعا" والفرع منها يسمى "طريقا" وهذا الاشتقاق بين أن الصوفية يعتبرون أن طريق التربية الصوفية هو درب من طريق الشريعة الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه ومثلما أنه لا يوجد طريق فرعي بدون طريق رئيسي يتفرع منه فإنه لا يمكن أن تكون التجربة الصوفية صادقة إن لم تتبع قواعد الشريعة إتباعا خالصا وتقسيم الطريق المؤدي إلى الله بمراحله الثلاث طبقا لما ينسب إلى النبي_صلى الله عليه وسلم_ بقوله: <<الشَرِيعَةُ أَقْوَالِي وَالطَرِيقَةُ أَعْمَالِي وَالحَقِيقَةُ أَحْوَالِي>> وكل من االشريعة والطريقة والحقيقة ترتبط إحداهما بالأحرى [1].

إن من يرى أن التصوف أصله سنيا محمودا،فالبرهان الذي يقدمه: أن أئمة التصوف الأوائل ذكروا أن طريقتهم مقيدة بالكتاب والسنة،وعليه فأسس التصوف محمودة في أصله إذ هو المقيد بالشريعة،والمذموم ما أحدثه بعده،وهذا التقرير مبني على أن هناك طريقة صوفية أسسها الأوائل المتقيد بالشريعة واضحة المعالم،مفصلة المسائل،تضاهي الطرق الصوفية الفلسفية والبدعية المنتشرة،في تفسيرها وترتيبها،حينئذ تنتفي دعوى تقسيم التصوف إلى محمود ومذموم،كما ينتقي قول من زعم أن أصل التصوف محمود فإنه قول في شيء لا وجود له إلا في الأذهان،والمعركة قائمة إنما في الخارج،فليخرج لنا طريقة واحدة متقيدة بالكتاب والسنة[2].

1_ أناماري شيمل،الأبعاد الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف،ط1،2003،ص 115.

2_ لطف الله خوجة،موضوع التصوف،صوفية حضر الموت مكة المكرمة،1432،ص 135.

وهذا التيار اشتهر بالصدق وبالزهد إلى حد الوسواس والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وصحبته الكرام _رضوان الله_ عليهم،ولكنه كان يغلب على أكثرهم الصدق والاستقامة في العقيدة،وكانوا مستقيمين في العقيدة والإكثار من الدعاوي والتزام السنة ونهج السلف،وإن كان ورد على بعضهم مثل الجنيد بعض العبارات التي أعدها علماء من الشطحات مثل قول الجنيد:<<علمنا مشتبك مع حديث الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ [1] .

إذا أردنا أن معرفة التصوف غلينا أن نرجعه إلى الكتاب والسنة امتثالا لقوله:<< وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا>> والمنصف عندما يتبين له الحجج يترك ما كان عليه من الباطل ويعود على الحق لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ودين الإسلام هو دين السماحة والسير ويدل على ذلك لقوله تعالى:<< وما جعل عليكم في الدين منم حرج>>[2] .

أما الأحاديث الرغبة في ذكر الله عزوجل فهي كثيرة لا يمكننا ذكرها واستقصاؤها في هذه العجالة،من ذلك ما رواه الغمام البخاري ومسلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله عليه وسلم: << أنا عند ظن عبدي بي،وأنا معه إذا ذكرني،وأن ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي،وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه>>[3] .

والصوفية كما هو معلوم لا يأخذون ذكرهم من الرسول صلى الله عليه وسلم،بل يأخذونه من شيوخهم فكل فرقة من فرقتهم لها ذكر مخصوص تتميز به عن مثيلاتها ولا يصح للمريد أن يذكر ذكرا حتى يأذن له شيخه مثل ما فعله الغزالي مع الشيخ الذي منعه من تلاوة القرآن.

1_ محمود الحربي،مجلة الصوفية وطرقها،شبكة المسلمات،العدد 36(د،ت)

2_نظرت في التصوف على ضوء الكتاب والسنة،دار قرطبة،دار البيضاء،ط1،1996،ص 31.

3_ المرجع نفسه،ص 242

فمن الطبيعي أن يكون مصدره الأول إسلاميا،فقد استمد من القرآن والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم،على أن أحوال الصحاب وأقوالهم لم تكن تخرج عن نطاق الكتاب والسنة،وبهذا يكون المصدران الأساسيان في الحقيقة الكتاب والسنة.ومن القرآن والسنة استمد الصوفية أول ما استمدوا أرائهم في الأخلاق والسلوك،ورياضاتهم العلمية التي اصطنعوها من أجل تحقيق أهدافهم من الحياة الصوفية،ومن أمثلة الأحوال عند المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأسى والطمأنينة والمشاهدة واليقين [1].

وجميع المقامات الصوفية وأحوالهم،التي هي موضوع التصوف أساسا مستندة التي شواهد من القرآن الكريم، وشنشير فيما يلي إلى آيات من القرآن الكريم التي تستند إليها بعض تلك المقامات والأحوال، وذلك على سبيل المثال لا الحصر[2] .

تستند مجاهدة النفس،التي هي بداية الطريق إلى الله لآيات مثل قوله:<< والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وأن الله لمن المحسنين>> العنكبوت 69.

<<وأما من خاف مقام ربه،ونهى النفس عن الهوى،فإن الجنة هي المأوى>> النازعات 41_40

<< أن النفس لأمارة بالسوء>> يوسف 53

<<إن أكرمكم عند الله أتقاكم>> الحجرات 13

1_ الوفا القيمي التفتاراني،المرجع السابق ص 57_ص58 .

والافتراض الشائع بين الكتاب حول هذا الموضوع هو أن التصوف ظاهرة دينية،وهم هنا يصفون في أذهانهم الديانات الغربية لا سيما المسيحية،وربما عرفوا الوعي الصوفي ببساطة على أنه "اتحاد الله" وفي رأي أن ماهية التجربة الانطوائية هي الوحدة التي لا تمايز فيها الاختلاف، وأن "اتحاد الله" ليس سوى تأويها ممكن لها،وفضلا على ذلك فلو كان المرء "بالدين" هذا الدين أو ذاك من ديانات العالم المعروفة فإننا يمكن أن نقتبس "أفلاطين" بوصفه صوفيا لا دينيا لطالما أن الخلفية الفعلية التي تؤول تجربته الصوفية من خلالها[1]

1_ولتر ستيس،التصوف والفلسفة،تح:عبد الفتاح إمام،مكتبة مدبولي،القاهرة،سنة 1999،ص 409.

المبحث الثاني:التصوف الفلسفي:

التصوف الفلسفي في الإسلام تصوف آخر يختلف عن التصوف السني والمقصود به الذي يعتمد إلى مزج أذواقهم بأنظارهم العقلية ،مستخدمين في التعبير عنه مصطلحا فلسفيا استمدوه من مصادره المتعددة .

وقد ظهر منذ القرنين السادس والسابع الهجري،ولما كان من اللون من التصوف ممتزجا بالفلسفة،فإنه قد شربت إليه بذلك فلسفات أجنبية متعددة،يونانية،وفارسية،وهندية ومسيحية،وذلك لا ينفي أصالته، وثمة طابع عام يطبع هذا التصرف الفلسفي،هو أنه تصوف غامض،ذو لغة اصطلاحية خاصة، ويحتاج فهم مسائله إلى جهد غي عادي، ولا يمكن اعتباره فلسفة حيث أنه الذوق،كما لا يمكن اعتباره تصوفا خالصا[1]

وقد عرف متفلسفة الصوفية الفلسفة لهجوم الفقهاء دائما لما أعذروه من القول بالوحدة الوجودية ونظرية القطبية،ووحدة الأديان وما يترتب عن ذلك كله من أراء ونتائج ارتأى الفقهاء أنها محالفة للعقيدة الإسلامية [2].

1_ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني،المرجع السابق،ص 205. بتصرف

2_ المرجع نفسه ،ص 206.

موضوعات التصوف الفلسفي وخصائصه:

يلاحظ الباحث التصوف الفلسفي أن عناية أصحابه كانت متجهة أساسا إلى وضع نظريات في الوجود على دعائم من الذوق،وقد حصل"ابن خلدون"في مقدمته أربعة موضعات رئيسية عني بها هؤلاء المتفلسفة وهي:

أ)المجاحدات وما يحصل عنها من الأذواق والمواجيد ومحاسبة النفس على الأعمال.

ب)الكشف و الحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية و العرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح،وحقائق كل موجود غائب أو شاهد،وترتيب الأكوان في صدورها عن موجودها وتكونها .

ج)التصرفات في العالم والأكوان بأنواع الكرامات أو الخوارق أو العادات.

د)صدور الألفاظ الموهمة المظاهر والتي تعرف بالشطحيات وهي العبارات التي تتشكل ظواهرها والناس بالنسبة لها بين مذكر ومستحسن وتأول[1]

لتفسير أولا أهم التأثيرات الخارجية غير الإسلامية وأهمها:

1)المسيحية:

من الجلي أن ميول الزهد والتأمل،التي أشرت إليها كانت على وفاق مع الفكرة المسيحية،ومنها استمدت أسباب قوتها فكثير من نصوص الإنجيل،ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح وقد رأينا أن الصوف الذي جاء الصوفي_مسيحي الأصل،ونذور الصوم عن الكلام و الذكر،و رياضات الزهد الأخرى روي أن المسيح مر على طائفة من العباد،وقد اخترقوا من العبادة،كأنهم الشنان البالية.

1_ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني،المرجع السابق،ص 208. بتصرف

وتأثير المسيحية من خلال أخبارها،ورهبانها وفرقها الخوارج من أمثال فرقها المصلين ذو وجهين زهدي،صوفي والتصوف الشرقي المسيحي،يحوي عنصرا وثنيا فقد تشرب منذ بعيد أفلاطون،واصطنع لغة المدرسة الأفلاطونية[1]

2)الأفلاطونية

أفلاطون هو الشخصية البارزة في الفلسفة الإسلامية،وقليلون من المسلمين يعرفون اسم "أفلاطون" الذي يدعي أنه يدعي أكثر ما يدعى"بالشيخ اليوناني"ومن هنا كانت الطريقة التي تشربوها هي طريقة فرفريوس وبركلوس،ولم يكن تأثيرها في الشرق أقل من الغرب فقد نقلت من الإغريقية إلى السريانية عقب ظهورها وانتشر مذهبها في قوة،بالشروح التي ظهرت نهاية النصف الأول من القرن التاسع ميلاد.

وكان إلى جانب التراث العلمي مسارب أخرى،انتقلت بواسطتها مذاهب الفيض،ولإشراق والمعرفة والجذب،وكان الوصول إليها سهلا وميسورا على سكان المسلمين،في غربي آسيا وفي مصر،والأفلاطونية قد هبت على الإسلام صبغة من ضمير الصوفي [2]

1_الصوفية في الإسلام، نيكلسون،ط2،1422،2002 بالقاهرة ص 19

2_ الصوفية في الإسلام،المرجع السابق، ص 22

3)الفنوصية:

إنه وإن أعوزنا الدليل الحاسم هنا،فإن المقام الملحوظ التي تحتله نظرية والمعرفة في تفكير الصوفية الأولين،تفترض اتصالا بالفنوسية المسيحية،ومما هو جدير بالملاحظة،أن والدي"معروف الكرني"الذي ذكر تعريفه للصوفية في صدر هذه المقدمة بأنه الأخذ بالحقائق وكان يقيمان في البطائح البابلية بين "واسطا"و "البصرة"،وآخرون من أولياء المسلمين قد تعلموا اسم"الله أعظم"فقد علمه"إبراهيم ابن أدهم"رجل لقبه وهو على سفر في الصحراء لم يكد يتلفظ حتى رأى الخضر"الباس"واستعار الصوفية المتقدمون من المانوية فقد لفظ"صديق"التي أطلقوها على شيوخهم في الله واعتقدت مدرسة متأخرة،أن اختلاف ظواهر أشياء،ناتج عن اختلاف النور وظلمة،يقول"محمد إقبال":<<أن المثل الأعلى الذي يهدف إليه العمل الإنساني هو التجرد من لوثة الظلمة وتجرد النور من الظلمة معناه أن تدرك النفس النور نورا>>(1)

4)البوذية:

قبل فتح الإسلام للهند في القرن الرابع الهجري الحادي عشر الميلادي،كان البوذية أثر ملحوظ ،في فارس الشرقية وفي ما وراء النهر،قامت في بلخ قصبة خراسان القديمة وبلخ مدينة اشتهرت بعدد من الصوفية .

وقد تعلم الصوفية من أخبار البوذيين استعمال المسابح، و نستطيع أن نؤكد في اطمئنان، وأن طريق الصوفية من ناحية كونها تثقيفا خلقيا للنفس، وتأملا زهديا ، و تحررا عقليا،مدينة بالكثير من البوذية، والتعارف المتعددة للصوفية التي وردت في الكتب العربية و الفارسية وان كانت ذات فائدة تاريخية فان أهميتها أنها تعرض الصوفية على أنها غير ممكن تحديدها

1_الصوفية في الإسلام،المرجع السابق،ص25

وكذلك حال الذين يعرضون للتصوف بالتعريف لا يستطعون إلا أن يحاولوا التعبير عما أحسته نفوسهم، ولن يكون مفهوم يضم كل حقبة من الشعور الديني المستكن لكل فرد[1]

"السهرودي"المقتول وحكمة الإشراق:

يعتبر من أوائل متفلسفة في الإسلام،اسمه"أبو الفتوح بحي بن حبش بن أميرك"،ويلقب "بشهاب الدين" ويوصف بالحكيم فمولده سهرودر حوالي سنة (550 هـ)،ومقتله بأمر "صلاح الدين الأيوبي"،في حلب سنة (587 هـ).

وكان"السهرودي"متعمقا في الفلسفة،فيقول عنه صاحب طبقات الأطباء،كان جامعا لعلوم الفلسفية،وفصيح العبارة وكان عارفا بالفلسفة الأفلاطونية والمشائية،وبالحكمة الفارسية وبمذاهب الصائبة،والفلسفة الهرمسية، ويعتبروه من رؤساء الإشراقيين وكان عارفا بالفلسفة الإسلامية وعلى الأخص بمذهب "الفارابي" و"ابن سينا"، وكان ينقد فلاسفة الإسلام الذين ينصفهم بالشائين[2] .

عرفت حكمة"السهرودي" بالحكمة الإشراقية نسبة إلى"الإشراقي"الذي هو الكشف، كما عرفت عندا"بن سينا"من قبله الحكمة الإشراقية نسبة إلى المشارق الذين هم أهل فارس، وحكمتهم الذوقية تعتمد على الإشراق، وله أيضا نظرية في الوجود عبر عنها بلغة رمزية على أساس نظرية الفيض، ولا يمكن اعتبارها نظرة صوفية في وحدة الوجود بالمعنى الدقيق لأنه يعدد العوالم الفائضة عن الله ،وهناك في رأيه عوالم ثلاث فائضة: عالم العقول، عالم النفوس ،وعالم الأجسام، فالأول يشمل الأنوار القاهرة ومن جملتها العقل الفعال أو روح القدس، والثاني يشمل النفوس المدبرة، للأفلاك السماوية وللأجسام الإنسانية، والثالث هو عالم الأجسام العنصرية، أي الأجسام ما تحت فلك القمر،والأجسام الأثيرية أي أجسام الأفلاك السماوية [3].

1_ الصوفية في الإسلام،المرجع السابق،ص35. بتصرف
2_ ،أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق،ص212 بتصرف
3_ المرجع نفسه،ص213. بتصرف

تصوف وحدة الوجود:

لم يظهر مذهب وحدة الوجود قي صورته الكاملة في التصوف الإسلام إلا بمجيء الصوفي الأندلسي المتفلسف"محي الدين بن عربي" المتوفى سنة (228 هـ).

وقد كان لهذا المذهب في الأندلس ممهدات سبقت ظهوره،وقد عني المستشرق الاسباني "أسيس بلاثيون" بتتبع المدارس الصوفية الفلسفية السابقة على "ابن عربي" والتي كانت تنحوا نحو وحدة الوجود في الأندلس وذلك في بحثه المعنون "ابن مسيرة" ومدرسته وقد تناول "بلاثيون" في بحثه هذا الفكر الإسلامي في المشرق ثم في المغرب في القرون الثلاثة الأولى والواقع أن "ابن مسيرة" أثرت في جميع الصوفية الأندلسيون الذين مزجوا التصوف بالفلسفة [1] .

ومن صوفية الأندلس ذوي الاتجاه الفلسفي أيضا "أبو عبد الله الشوذية" ومن تلامذته "أبو إسحاق بن دهاق" (211 هـ)، وقد انتسب الصوفي الأندلسي المتفلسف "عبد الحق بن السبعين" ت(229 هـ)والمعاصر "ابن عربي" إلى "ابن دهاق"، ويعتبر المدرسة الشوذية أيضا التي يقول: أصحابها بالوحدة الوجودية امتداد مدرسة ابن مسيرة

وتصوف وحدة الوجود هو التصوف المبني على القول بأن ثمة وجود واحد فقط هو وجود الله،أما التكثر المشاهد في العالم فهو وهم على التحقيق،فالوجود إذا واحد لا كثر فيه [2] .

1_ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني،المرجع السابق ص 217 .بتصرف

2_ المرجع نفسه، ص 218 .بتصرف

وكـذلك عـرف الدارسـون لفلسـفته بالإشـراق حريـا علــى الخـط"العرفـاني"الـذي قـال بـه"الحلاج" اعتمادا علـى (نظريـة النـور) وإن هـو أرسـى دعائمهـا علـى شـيء مـن التوجـه الفعلي، والإطار الفلسفي مقتفيا أثر"ابن سينا"الإشراقي في ذلك من خلاله حديثه:

_عـن الـنفس وهبوطهـا فـي الجسـد لكـي تسـتكمل صـورتها الروحانيـة المجـردة بـالعلوم والمعارف.

_عند تعذر تحقيق ذلك (روحانيا فحسب) تلبسه تلك النفس بالمادة (الجسد) مع العقل في الرأس الذي عليه أن يطلب العلوم الإلهية.

_الغاية من خلق الإنسان الوصول إلى العلوم الإلهية والتمتع بالنور الرباني وإشراقه الآسر.

_ عند مفارقة هذه النفس الجسد وهي المزودة بمعرفة الحق تعود إلى عالمها.

_ وقريبـا عـن منظـور العقائـد الشـرقية المعروفـة فـي هـذه الربوع،تحـدث"السـهرودي"عـن علاقـة (الـنفس-الإنسـان) (بـالله سـبحانه)(نـور_الأنـوار) عبـر سلسـلة مـن الأنـوار النـازلـة مـن عالمها العلوي حتى تلامس نفس الإنسان في جسده.

1_ علي حسين الجابري،دروس في الفكر الإسلامي،دار الفرقد سوريا –دمشق،ط1،2010،ص 203.بتصرف

أما على الصعيد المعرفة فلقد وزع"السهرودي"المفتول للعارفين أربع درجات:

1. الشدة أو البادئون في البحث عن الحقيقة الإلهية المجهولة القائلون (لا إله إلا الله) إنه الدخول عبر بوابة الغيب المجهول (ميدان اللهو).
2. العارفون الذين شاهدوا الله في (قلوبهم) المؤمنون،بما رأى المحبون الذي عشقوا المحبوب فتجاوزوا الواسطة بين (المتكلم) أو المخاطب فخرجوا بالله من المجهولية إلى المعلومية.
3. المتوحدون (الذات والحبيب) والقائلون (لا إله إلا أنا) بعد أن غمرتهم الأنوار الإلهية وهي درجة (الحلوليون).
4. الإشراقيون:القائلون بوحدة الأنوية (الله والذات) على سبيل الحقيقة حتى يصلون (نور الأنوار) فتتلاشى (الآن الإنسانية) في (الآن الإلهية) وتتوحد عندهم (هو وأنت وأنا) في بحر الفناء[1].

ويمكن أن نقول أن مصادرها الشرقية ظاهرة للعيان ساحتها بلاد الشام وبلاد فارس والعراق وأقربها الرؤية الصائبية المندائية هذا من حيث (الجذور)،أما من حيث الإطار هي قرآنية المضمون وعليها نصوص من القرآن الكريم

إذا كان الفكر الإسلامي ينطلق من التصريح الضمني والصريح بجدارة الوحي وقيمته المطلقة،فإنه يصرح في الوقت نفسه بأن العقل هو الآخر لا يقل جدارة وكفاية وقيمة ،باعتباره ملكة معرفية عالية واعتباره قوة لإدراك المعاني المجردة والمبادئ الكلية،فالعقل في الإسلام :"هو مناط الصلة بين أمر السماء ومسؤولية الأرض وموضع إمكان تحقيق العدالة لدى الأمر،واستحقاق المثوبة والعقوبة لدى الأمور،وهو الفارق بين الإنسان وبقية الكائنات وتاج المجد وحلية الجاه،وزينة العظمة ،ومبعث الخلود[2].

1_ علي حسين الجابري،المصدر السابق،ص204،ص205.بتصرف

2_ عبد الحميد خطاب،معالم في الفلسفة الإسلامية،الجزائر 1416،1991،مطبعة النخلة،ص30_31 بتصرف.

ولهذا انتهى حجة الإسلام"الغزالي"إلى اعتبار العقل شرعا يبرز من داخل الإنسان،إذا كان الوحي نفسه يبرز من خارج ولا يستبين إلا بالعقل، فعلى حد تعبيره،"الشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاهدان بل متحدان" [1] .

وفي سبيل التوفيق بين المضمون الديني ومضمون الرؤية الفلسفية، اعتمد الصوفية على جذب عنيف بين الدين والتصوف، وفي سبيل هذه الغاية ذهبوا إلى معنى الدين أو معنى القرآن والفلسفة،ليس فيما يتبادر إلى الذهن من ألفاظهما،بل فيما وراء هذا المتبادر،كما أن الوحي الإلهي لا يرونه مبتذلات هذه المتبادر،وبهذا يقول"جلال الدين الرومي"(ت672):"وأعلم أن آيات الكتاب سهلة يسيرة، ولكنها على سهولتها تخفي وراء ظهرها معنى حفيا مستترا لذا لا تتقيد يا بني بفهم المعنى الظاهر،كما لم تر الشياطين في آدم إلا أنه مخلوق من الطين"[2] .

أما كلام"أبي حامد الغزالي"في الفلسفة فهو يمثل فيه إلى آراء"ابن سينا"، ولذلك عاب عليه علماء الإسلام،حتى نقل"ابن تيمية"عنهم أنهم قالوا:مرضه لشفاء"فابن سينا"يؤمن بالوحي على طريقة خاصة به،فهو يزعم أن في استطاعته المرء أن يصل إلى درجة النبوة بالمجاهدة،فهو لا يعتقد أن النبوة منحة إلهية[3] .

1_ المرجع السابق،ص 106

2_ أحمد حمو،المرجع السابق،ص196

المبحث الثالث:التصوف الطرقي:

وفي بداية القرن السادس ظهرت الطرق الصوفية وانتشرت وأشهر طريقة هي القادرية المنسوبة"لعبد القادر الجيلاني" (561 م)،كما ظهر"أبو الحسن الشاذلي" (ت 656) وهو من أصحاب"ابن العربي"،وظهرت الرفاعية وطرق أخرى كثيرة في القرن السابع والثامن والتاسع لم تظهر نظريات جديدة للصوفية سوى شرح كتب أصحابهم والدفاع عنهم، والغلو فيهم وفي القرون المتأخرة من العاشر إلى الرابع عشر ظهرت ألقاب جديدة،مثل شيخ السجادة، وشيخ المشايخ الطرق الصوفية،وفي القرن الرابع عشر أسس في مصر مجلس أعلى للطرق الصوفية،لتنظيمها وترتيبها والإذن والسماح بافتتاح طرق جديدة [1].

ومن أقوال بعض المعاصرين الذين مدحوا هذا التصوف المنحرف يقول"محمد بن علوي" مالكي:"الرجل منهم" يقصد الصوفية" يعيش دائما في مقام الإحسان،يرى الله بكل شيء،إنه إيمان يبعث اليقظة،الشاملة في الحياة ويضفي عليها الإحساس العميق بالربانية السارية في الكون،والتي تعيش في أعماقنا،وله كتاب يقرر فيه الشرك الصريح سماه شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد ومن كلامه فيه:"زيارة نبوية،ثم ذكر قصيدة اشتملت على الشرك بالله تعالى وهي قصيد والهجرة النبوية الشريفة"ووضعها باليتيم العلماء وضعا:

يَا سَيدِي يَا رَسُولَ اللهِ خُذْ بِيَدِي * * * مَالِي سِوَاكَ وَلَا أَنْوِي عَلى أَحَدِ

إِنِي إِذَا سَامِنِي ضِيمِ يُرَوِعُنِي * * * أَقُولُ يَاسَيدَ السَرَابِ يَا سَيدَي

إن طرق الصوفية نشأت فني بادئ الأمر على غير منهاج واضح أو هيكل تنظيمي،وإنما نشأت بسبب تنوع المشايخ، وقد اتجه بعض الشيوخ،اتجاها جديدا حيث بدؤوا يجتمعون حولهم المريدين من أجل تدريبهم، فتكونت لأول مرة الطارق الصوفية.

1_أبو الوفا التفتزاني،المرجع السابق،ص 26

ففي الحقيقة ليست حي طرقا بمعنى ما تؤدي إليه هذه الكلمة لكن لما كانوا بعيدين عن العلم واختلطوا لأنفسهم منهجا في العبادة والسلوك،وظهر فيهم التميز عن جمهور المسلمين،وظهرت لهم كلمات ومصطلحات مهدت لظهور الطرق المنظمة لمن جاء بعدهم مثل قولهم :علمنا،مذهبنا،طريقنا،وظهر فيهم قلة العلم بالسنة،وكثرت الوعظ القصص والتأثر بسلوكيات الرهبان والشك الأعجمي،من صور التميز التي حصلت لهم اتخاذ بيوت خاصة للعبادة غير المساجد ينقطعون فيها الناس(1)

نجد بعض متفلسفي الصوفية قد حاولوا تأسيس طرق، ولكن الطرق التي أسسوها لم يكتب لها الاستمرار في الوجود في العالم الإسلامي لما أثير حول عقيدة مؤسسيها من شبهات وذلك كالطريقة الأكبرية التي أسسها"ابن عربي" الملقب بالشيخ الأكبر والطريقة السبعينية التي أسسها"ابن سبعين المرسي"،ولا كذلك بالنسبة للطرق الأخرى التي كان يغلب على دعاتها الاتجاه عمل التربوي،كطريقة الرفاعية والطريقة القادرية،والطريقة الأحمدية التي أسسها"أحمد البدوي"و الطريقة البرهامية التي أسسها"الشيخ إبراهيم الدسوقي" والطريقة الشاذلية،فقد استمرت إلى يومنا هذا،كما عنى أصحابه من الناحية العملية بضروب من الطقوس والشكليات أبعدتهم في كثير من الأحيان عن جوهر دعوتهم (2)

أما القبورية فمعناها التعلق بأصحاب القبور لدفع الضر وجلب النفع وهو من صميم العقيدة،فأهل التصوف يتوجهون إلى قبور شيوخهم بقلوب خاشعة لغير الله عزوجل،وغالبا ما يكون هذا التوجه مصحوبا بآلات الطرب والرقص الهستيري المتمثل في شرب الماء وضرب الكؤوس بالشواقير والقلال وهذه الأمور لا يقرها الشرع الحنيف لأن البناء على القبور محرم في الإسلام لأنه ذريعة إلى الشرك بالله عزوجل،وهو من بدع اليهود والنصارى التي تسلسلت إلى ديار المسلمين لتفسد عقيدة التوحيد التي جاء بها النبي _صلى الله عليه وسلم_(3)

1_ عهد بن سليمان الفهيد،نشأة بدع الصوفية،ب،ت،ب،ط،ص 98.
2_أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق،ص 38.
3_أحمد حفو، المصدر السابق ص 29

أما الطرق الصوفية فاتخذت لها مراسيم عامة تطبقها الطرق مهما كانت تسميتها ومكان وجودها ومن أبرز هذه المراسيم:

_الاحتفال بدخول المريد في الطريقة بطقوس دقيقة مرسومة على أن يتهيأ لها المريد نفسيا.

_ التزين بزي خاص.

_اجتياز المريد لرياضات شاقة في الخلوة والصلاة والصوم.

_الإكثار من الذكر مع الاستعانة بالموسيقى والحركات الإيقاعية البدنية التي تساعد على الوجد.

_الاعتقاد في القوى الروحية الخارقة للعادة التي تصدر من المريدين أثناء الذكرى وتمكنهم من أكل الحجر والتسلط على إرادة الثعابين السامة وقراءة الأفكار والأخبار بالمغيبات .

_احترام المريد للمريد أو الشيخ إلى درجة تقترب من التقديس والطاعة العمياء[1]

وهذه الكتب تختلف في شكلها ومضمونها عن كتب أهل الحديث والفقه لأنها لا تتقيد قيود الشرع بخصوص الموضوعات التي تريد معالجتها في ما ينكره العقل السليم والشرع الحنيف عند أهل الاستقامة والسنة والجماعة هو حقائق ومكاشفات عند أهل التصوف،فأهل التصوف يقيسون الأمور بالأذواق والأهواء والشطحات [2]

1_علي الحسين الجابري،دروس في الفكر الفلسفي الإسلامي،دار الفرق،سوريا،دمشق،ط1،2010،صفحة 169.

2_أحمد حفو،المرجع السابق ،ص 190 .

وتجد أهم هذه الطرق:

القادرية:

وهي أولى الفرق تنسب إلى الشيخ"عبد القادر الجيلاني" (ت 521)وصف الباحثون طريقته بالتساهل وعمل الخير ووجدت طريقته إتباعا في جميع أنحاء العالم من الجزائر وغينيا فالهند فجاوة ولتقسي أخبار هذه الطريقة يجد الباحث أنها لم تكن منظمة على هذه الصورة أيام"الشيخ عبد القادر"نفسه الذي كان واعظا بل اتخذت كيانها بعد وفاته بزمن ثم نسبت إليه بوصفه الشيخ التاريخي البارز لأصحابها

الرفاعية:

تنسب إلى"أحمد الرفاعي" (ت560 هـ) يقوم أعضائها كأعضاء الطرق الأخرى بأعمال غريبة كابتلاع الحجر والأفاعي الحية و الزجاج أو خرق أجسامهم بمسلاة والسكاكين وروي عن أوائلهم أنهم كانوا يلقون بأنفسهم من الرؤوس النخيل العالي فلا يصيبهم ضرر

المولوية :

وتنسب إلى الشاعر الفارس" جلال الدين الرومي"(ت672 هـ) الذي خرج أبوه من فارس هارب من المغول واتجه إلى قونيه من بلاد الروم،ولقد رأى الباحثون أنه في طريقته قد خرج على مأثور من تقاليد الإسلام بإفراد للموسيقى مكانا في مواسيم طريقته وبتشجيعه الناس على اتخاذ العرف ولمخالطته لأمراء البلاط مما أدى ببعض الصوفية بالثورة عليه واتهامه،والقيام في وجه الدولة التي يحالفها على صورة ثورة مسلحة(1)

1_ علي الحسين الجابري،المصدر السابق ص170.بتصرف

وفي القرن اللاحق ظهرت الحركة الصوفية كطريقة صوفية نجحت في الوصول إلى الحكم ممثلة بالدولة الصفوية و التوسع على حساب الدولة العثمانية مستفيدة من أفكار المهدية و القطبية .كما ظهرت حركات حروفية بها طابع الصوفية في بلاد الشام كدعوة الثابر "نسيم بغدادي" المقتول بداية القرن التاسع، وفي القرن العاشر جعل أصحابه طريقته طريقة تسمى بالخلوفية يرجعون لفكرة ظهور المهدي هناك ادعاها"داود المرعشي"وظهرت في مصر حركات فردية تحمل طابع الصوفية المهدية "للشعراني"(ت 972هـ) و"حسن العراق" (ت920هـ)،كما اعتمدت بعد ذلك الحركة السنوية كطريقة ايجابية في المغرب الغربي وقد قامت هذه الطريقة على أكتاف رجل علوي من أتباع الطريقة القادرية يدعى محمد بن السنوسي حيث شرع يطبق دعوته في برقة الصحراء وأسى زاوية البيضاء في برقة [1] .

1_ بتصرف،علي الحسين الجابري، المرجع السابق،ص173

تعريف شخصية عمر الفارض:

نبذة عن حياة عمر بن القارض: 572ه _1181م / ت 632_1235ه

هو أبو حفص،عمر بن أبي لحسن علي بن المرشد على،الحموي الأصل المصري،المولد و الدار والوفاة، وينعت بالشرف،وهو أشهر من أن يعرف به لاشتهار ديوانه وكثرة شراحه، كان ينح في شعره،منحى الصوفية ورعا، إذا مشي في المدينة ازدحم الناس عليه ليلتمسوا منه البركة والدعاء، وكان وقورا إذا حضر مجلسا استولى السكون على أهله، وإذا أراد النظم أصابته غيبوبة قبل أن يعضها كان يستغرق عشرة أيام، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك،فإذا أفاق أملي من الشعر أبياتا وتوفى بالقاهرة، ودفن في سفح حبل المقطم وقبره معروف هناك (1)

"ابن الفارض" من شعره:

"ابن الفارض" رجل التوحد والانطلاق الروحاني،سبيله في الحياة أن ينجو من الحسد والمادة، وأن يصعد في مدارج العلاء سعيا وراء مشاهدة الله والفناء فيه، وقد حاول أن يحمل الشعر العربي كل ما في قلبه من صورة روحية وغرام سني،وراء يصب معانيه في قوالب غزلية وخمرية،وراح يركب الوجوه البديعة والأساليب البيانية، ويعقد و يغالي في التعقيد،ويكرر ويسرف في التكرار،وراح من الهتاف والمناداة والتصغير وما إلى ذلك في وراح يزج في كلامه، وإنا شعره أتون مسجون، وإذا هنالك إلا فيه، وقود دائم ولهب متصاعد، وذوبان يهواه صاحبه ولا يفهم الحياة وإلا فيه الحياة والموت، والسعادة فناء في المحبوب بل هي فناء فناء، حتى لا يكون إنسان ،ولا وعي للإنسان بأنه في ذلك المحبوب (2)

1_ جرحي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية،ج3،الجزائر العاصمة،الثقافة العربية،سنة2007،ص25

2_ حنا الفاخوري ،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،مجلد2،دار الجيل بيروت ،طبع سنة 1415،1991 ص514

ميزة شعره:

ويمتاز شعره بكثرة الجناس والبديع مع الإجادة فيهما،مما كان متلحما في عصره،وما زال محل إعجاب الأدباء إلى عصرنا هذا،ثم جنح الناس إلى الحقائق واستنكفوا من كثرة التأنق في الصناعة اللفظية،وكان ديوان"ابن الفارض"إلى عهد غير بعيد يعلم المدارس،فيحفظه الأحداث غيبا،وإن لن يفهموه فأكنهم يرون في ذلك فائدة للقريحة الشعرية،وفي أغراض"ابن الفارض"اختلاف بين الشارحين،أشهرهم شراحه"الشيخ حسن البوريني" (1024 هـ) "والشيخ عبد الغني النابلسي" (1143هـ) شرحه "البورني" على ظاهرة المراد منه،أي بحسب المعنى الظاهر،وشرحه"النابلسي"شرحا صوفيا،وقد جمع"رشد بن غالب"بين الشرحين في كتاب طبع في مصر(1289)وفي مرسيليا (1853)وترجمت قصيدته التائية إلى الألمانية وطبعت (1954 م)،وترجم غيرها إلى الفرنسية طبع بباريس (1886)[1]

شعر البهاء لين ونعومة وموسيقى،هو شعر العاطفة العميقة التي تنساب بين السطور فتنديها،وتتغلل في الألفاظ فتسهلها،وتنقل على أكتاف الحروف فتجعلها أوتارا عذبة الأنغام ساحرة الوقع،وهو شعر الوجدان والبهاء زهيد شاعر الحب وتغلب في شتى حالاته وعرف حلوه ومره،وكان أبدا خفاق القلب لكل جميل،يذوب في سبيله شعورا رقيقا،حافلا بالعذوبة وحافلا بالصفاء،ينطلق سهلا،في غير تعقيد ولا مداورة ،وكأنه النسيم الذي يلامس الأرواح أو كأنه الطيب الذي يغزو الكيان في غير عصف ولا شدة قد يواجهك أحيانا بلغة التخاطب أو بأسلوب النثر الحافل بالسلاسة والطبيعة،وذلك أن شعر الحب عند البهاء حياة ومعاناة حياته قد اعتمد أحيانا التصريع والزخرفة فما ذلك عن تصنع وتحذلق بل عن محاولة لتعبير عن جمالية التجربة وعذوبة المعاناة[2].

1_ جرجي زيدان، المرجع السابق ،ص25

2_ حنا الفاخوري ،المرجع السابق،ص 862

تصوفه:

لقد تجسد تصوف"ابن الفارض" في ثلاثة مراحل:

أ) المرحلة الأولى:

بدأ"ابن الفارض"حياته الصوفية بانقطاعه عن حياة الناس وتفضيله الخلوة والسياحة بعيدا عن الأنظار،فصار يستأذن أباه في السياحة، فيسيح في مكان يسمى واد المستضعفين بالمقطم[1]

وكان اختيار "ابن الفارض" لهذا المكان ليس من قبيل المصادفة إنما لماله من حمولة دينية فمنه كلم الله موسى _عليه السلام_لقوله تعالى<< وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًا>>[2]

ولقد كان في بداية رحلته الروحية،التي كان مقامها بالمقطم،سيتغرق المستضعفين زمنا يقضيه سائحا،ثم يعود بعد ذلك إلى حياة الناس ليتولى بدور الوالد ومتطلباته،فيجلس في مقام أبيه العلمي مستمتعا ومستوعبا الدرس،وبعدما سلك"ابن الفارض"طريق التصفية والتنقية والتجريد،فيقول:"كنت في أول تجريدي استأذن والدي وأطلع إلى واد المستضعفين بالجيل الثاني من المقطم وأوي فيه وأقيم في هذه السياحة ليلا ونهارا،ثم أعود إلى والدي لأجل بره ومراعاته،وكان والدي يومئذ خليفة الحكم العزيز الحنفي بالقاهرة ومصر المحروستين،وكان من أكابر أهل العلم والعمل،فيجد مسرورا برجوعي إليه،ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم،ومدارس العلم،ثم أشتاق إلى التجريد وأستأذن وأعود إلى السياحة" [3]

1_محمد كامل،أحلى القصائد الصوفية،دار الكتاب العربي،سوريا،دمشق،ط1،1418،1997،ص128

2_سورة مريم،الآية،19

3_بدر الدين الحسن بن محمد وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي،شرح ديوان الكرم النمري،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1424،2003،ج1،2،ص12

ب)المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة"متزامنة مع سفره إلى الحجاز، أين يوجد بها أودية مكة حيث قضى خمسة عشرة عاما سائحا منقطعا عن الناس، لا يكاد يتصل بأحد، وكان يأتي إلى الحرم الشريف مطوفا به مصليا فيه"[1]

وتعد هذه المرحلة الأهم على الإطلاق في حياة:"ابن الفارض"بتأكيد على علة إبداعه الشعري وعبقريته الفنية،وتألقه الإنساني فيقول:"وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة إلا أن سئل والدي أن يكون قاضي القضاة،فامتنع ونزل على الحكم واعتزل الناس وانقطع إلى الله تعالى في جامع الأزهر إلا أن وفته المنية،فعاودت التجريد والسياحة وسلوك طريق الحقيقة،فلم يفتح على شيء،فحضرت يوما من السياحة إلى القاهرة ودخلت إلى المدرسة السيوفية،فوجدت رجلا شيخا بقالا على باب المدرسة يتوضأ وضوءا غير مرتب غسل يديه ثم غسل رجليه،ثم مسح،برأسه ثم غسل وجهه،فقلت له،يا شيخ أنت في هذا السن في دار الإسلام على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين،وأنت تتوضأ وضوءا خارجا عن الترتيب الشرعي فنظر إلي وقال:يا"عمر"،أنت ما يفتح عليك في مصر،وإنما يفتح عليك بالحجاز في مكة شرفها الله،فأقصدها فقد أن لك وقت الفتح"[2]

1_ وحيد بهمرودي،اللغة الصوفية ومصطلحا في شعر ابن الفارض،مذكرة تخرج لنيل الماجستير في اللغة العربية ولآدابها 1986م،ص9

*المدرسة الصوفية: هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر،أوقفها السلطان"صلاح الدين"وعرفت بهذا الاسم لوجود سوق السيوفين حينئذ على بابها.

2_ ينظر،بدر الدين الحسن بن محمد البوريني وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي،شرح ديوان ابن الفارض،ص12

ج)المرحلة الثالثة:

هي آخر مرحلة من حياته الصوفية،التي توقفت فيها رحلة الكشف وتكدرت نفسيته،وملأتها اللوعة والحسرة على ما فاتها من سنوات جمعته مع أحبته هناك في بلاد الحجاز،وقد استغرقت رحلته الحجازية المثمرة قرابة خمس عشر سنة،قضي جلها في نواحي مكة متجردا سائحا،متمتعا باللحظة التي يعيشها في ذلك يقول:"وأقمت بواد كان بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد وكنت آتي منه من كل يوم وليلة،أصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس،ومعي سبع عظيم الخلق في ذهابي وإيابي وينخ الجمل ويقول بلسان طلق:يا سيدي اركب،فما ركبته قط " [1]

وعليه فقد جمع"ابن الفارض" في تصوفه بين ثلاثة وهي :

_ الشاعرية ذات الحس الدقيق والشعور الرقيق

_ الصوفية ذات الذوق والزيادة والمجاهدة

_ المحبة ذات العواطف والانفعالات العفيفة تستبد بها النزعة الروحية [2]

1_ينظر،وحيد بهمرودي،اللغة الصوفية ومصطلحاتها في شعر ابن الفارض ،ص13

2_مجدي كامل،أحلى القصائد العربية،ص129

خاتمة

بعد هذا الطواف المعرفي التي صاحبت فيها"التصوف عند ابن الفارض"من خلال تحليل شعره في تائيته الكبرى حاولنا أن نوجز أهم النتائج البحث ودراسة حيث تناول هذا البحث لغة الشعر في قصيدة نظم السلوك لشعر"ابن الفارض"وهو شاعر من أكابر الشعراء وأبرزهم بلا منازع وله ديوان شعر مطبوع يعد من السلوك أناشد المحبة الألهية،ولكن في نهاية هذا المطاف الدلالي في ديوان"ابن الفارض"فلا بد من الإشارة إلا أن المعاني الصوفية لا تتأت من خلال بحث علمي بحث فقط حتى وإن كان له دور لا غنى عنه في فهمها وذلك لأن المعاناة الصوفية يعيشها الصوفي في عمق لا تعبر عنه الكلمة الملفوظة،ونستنتج من خلال بحث هذا جملة من نتائج هي:

_ يعتبر التصوف أهم لفظ من الألفاظ التي تعبر عنها هذا النوع من العبادة الخالصة لله تعالى يعني التوجه إلى الله وحده بتعبد لنيل رضاه فقط.

_ إن التصوف فكر إسلامي نشأ وبدأ بحركة الزهد وتطور إلى فكرة التصوف في الإسلام ظهر في القرن الثاني للهجرة.

_ المصدر الأول لتصوف منبعه الكتاب والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم إلا أنه له طابع خاص فهو مرتبط بأصول الشريعة.

_ التصوف الفلسفي في الإسلام يعتمد على مزج أذواقهم لأنظارهم العقلية مستخدمين في التعبير عنه مصطلح فلسفي استمدوه من مصادر متعددة.

_ التصوف الطرقي ظهر في بداية القرن 16 للهجرة حيث ظهرت الطرق الصوفية وتعتبر أشهر طريقة هي القادرية والرفاعية على غير منهج أو هيكل تنظيم.

_ الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والوحي والروح وحقائق الغائب أو شاهد ترتب أكوان يصدورها وعن تكونها.

_ احتل الرمز قمة الهرم في استعمال الصورة القيمة في تائية ولرمز دواعيه عمق المعنى وضيق لغة وبوح بأسرار المتصوفة.

_ من الشخصيات البارزة نجد"القشيري"في مقدمته"الرسالة القشيرية"متحدثا عن الصوفية وذلك"إمام الغزالي"في كتابه المشهور"المنقذ من الظلال"وأيضا"الرابعة العدوية"فهي من أشهر نساء التي عرفت بزهد والتصوف في تعبد الله.

_ شكلت التائية رغم معارف وعلوم الصوفية التي حوتها نص أدبيا رفيعا لكل ما للكلمة من معنى بل هي شكلت عناصر النص الأدبي للخيال وصور مستجدة واستعارات رائعة فضلا عن فنون المعنوية اللفظية وأساليب المتنوعة المقصودة إلا أن يشير أن القصيدة قيلت تحت وحي التصوف.

الملحق:

تعريف بشخصية"ابن الفارض"

_ نبذة عن حياته

_ "ابن الفارض"من شعره

_ ميزة شعره

_ تصوفه

ببليوغرافيا المراجع

أ_ المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ب_ المراجع:

1_ صالح ابن فوزان الفوزان،حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين،د ط،د س.

2_ فهد بن سليمان الفهيد،نشأة بدع الصوفية،د ط،د س.

3_ عبد الحليم عبد الغاني القاسم،المذاهب الصوفية ومدارسها،ط 2،مكتبة مدبولي،سنة 1999.

4_عبد الحليم محمود،المنقذ من الظلال،ط 2،دار الكتاب اللبناني بيروت_لبنان،سنة 1985.

5_أبو الوفا الغنيمي التفتازاني،مدخل إلى التصوف الإسلام،ط 3،دار الثقافة للنشر والتوزيع،د س.

6_ زكي مبارك،التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،د ط،مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة،سنة 2012.

7_زبيدة بوغاس،الرمز في المسرح_عز الدين جلاوجي_بحث مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في الأدب العربي الحديث،كلية الآداب واللغات،قسم اللغة والأدب العربي،جامعة الحاج لخضر،باتنة،سنة 2010_2011.

8_عبد المحسن سلطان،التصوف الإسلامي في مراحل تطوره،ط 1،دار الآفاق العربية،سنة 1423_2003.

9_محمد عبد المنعم الخفاجي،التصوف في الإسلام وأعلامه،ط 2،دار الوفا الدنيا للطباعة والنشر،سنة 2002.

10_ إبراهيم إبراهيم الياسين،مدخل إلى التصوف الإسلامي،د ط،دار مكتبة الأرساء للطبع والنشر والتوزيع،سنة 2002.

11_جرجي زيدان،تاريخ اللغة العربية،د ط،ج3،الجزائر العاصمة،الثقافة العربية،سنة 2007.

12_ مجدي كامل،أحلى القصائد الصوفية،دار الكتاب العربي سوريا،دمشق_حجاز،ط 1،سنة 1417_1997.

13_حنا الفاخوري،الموجز في الأدب العربي،د ط،مجلد 2،دار الجيل بيروت،سنة 1411_1991.

14_ بدر الدين الحسن محمد،عبد الغاني بن إسماعيل النابلسي،شرح ديوان ابن الفارض، جمعه الفاضل بن رشيد بن الغالب اللبناني ، ضبطه و صححه ،محمد عبد الكريم النمري ، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ، سنة 1424_2003.

15_وحيد بهمردي ، اللغة الصوفية مصطالحها في شعر ابن الفارض ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، 1986.

16_إحسان عباس إبن خلكان ، وفيات الأعيان ،ط1،سنة 1996،ج1.

17_ابن الجوزي ، تبليس إبليس،ط1، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، سنة 2001.

18_الكالباذي ، التعرف على مذاهب أهل التصوف ، ضبطه أحمد شمسي الدين ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية، سنة 1993.

19_ابن الفارض،والحب الإلهي،د ط،دار المعارف،مصر،سنة 1991.

20_ابن عربي بن مصطفى الثوار،ديوان أبو مدين،ط 1،مطبعة الشرق،دمشق،سنة 1958.

21_ رمضان صادق،شعر ابن الفارض،دراسة أسلوبية،ط 1،الهيئة المصرية العامة الكتاب،القاهرة،سنة 1998.

22_حسن الصديق،مفهوم المرأة في فكر ابن العربي،مجلة التراث العربي،عدد 80،سنة 20 تاموز 2000.

23_ أبو العباس أحمد زروق،قواعد التصوف،تح:محمد زهري النجار،ط 2،القاهرة،مكتبة الأزهرية،سنة 2004.

24_رفيق العجم،موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي،ط 1،مكتبة لبنان ناشرون،سنة 1999.

25_لطف الله خوجة،موضوع التصوف،د ط،فهرست مكتبة الملك،فهد الوطنية،أثناء النشر خوجة،سنة 1432.

26_عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي وآليات التؤيل قراءة في الشعر العربي المعاصر،د ط،دار الأمير خالد،سنة 2014.

27_شيخ عبد القادر عيسى،حقائق عن التصوف،ط 4،موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية،دس.

28_إحسان إلهي ظهير،التصوف المنشأ والمصادر،ط 1،إدارة الترجمان،سنة 1976_1406.

29_ابن خلدون،المقدمة،تح:عباس أحمد الباز مروة،ط 4، دار الباز للنشر والتوزيع،مكة مكرمة،د س.

30_عبد القاهر بنو عبد الله السهرودي،عوارف المعارف،دار الكتاب العربي،بيروت،د ط،د س.

31_خالد ابن هيم يوسف،الشعر العربي أيام المماليك،ط 1،دار النهضة العربية،بيروت_لبنان،سنة 2003.

32_عباس يوسف الحداد،الأنا في شعر الصوفي،لابن الفارض أنموذجا،ط 1،دار الحوار،سنة 2005.

33_محي الدين عربي أبو العلا العفيفي،فصوص الحكم،د ط،دار الكتاب اللبناني،لبنان،سنة 1946.

34_ أبي حامد الغزالي ،المنقذ من الضلال، مطبعة مصابيح و أولاده ، مصر ،1371 .

35_ يحي الشامي،أروع ما قيل في زهد،ط 1،دار الفضائل،انتاج الإعلامي،سوريا،سنة 1434 هـ_ 2009.

36_ عاطف جودا نصر،شعر ابن الفارض،فن الشعر الصوفي،ط 1،دار الأندلس،بيروت_لبنان،سنة 1982.

37_ رشدي علي حسن،المرأة في شاعر ابن الفارض،دراسة في الرمز الشعري،مجلة دراسات أردن،مجلد 28،العدد 1،سنة 2001.

38_البوريني ونابلسي الفاضل الرشد بن غالب اللبناني،شرح ديوان ابن الفارض،بهامشه كشف الغر لمعاني نظم الدر،شيخ عبد الرزاق القاشاني،د ط،مطبعة خيرية،مصر 1310.

39_صالح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص،سلسلة كتب العالم المعرفة،المجلس الوطني لثقافة الفنون والآداب الكويت سنة 1992.

40_سعيد الدين الفرعاني،منتهى المدارك شرح التائية لابن الفارض،تح:وسام الخطاوي،د ط،مطبوعات ديني إيران،سنة 1386.

41_سعيد بوسقطة،الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر،ط 2،منشورات بونة،للبحوث والدراسات،سنة 1429_2008.

42_نور الدين دحماني،صورة الفنية في الخطاب الشعري الصوفي،مجلة حوليات،جامعة مستغانم الجزائر،العدد 2،سنة 2000.

43_نصر حامد أبو زيد،اللغة/الوجود/القرآن،دراسة في الفكر الصوفي،مجلة الكرمل،العدد 62،شتاء 1999.

44_عبد الرزاق بن أحمد محمد القشاني،لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام،تح:عاصف إبراهيم الكيالي،ط 1،دار الكتب العلمية،بيروت،سنة 1425_2004.

45_عاصف إبراهيم الكيالي،اصلاحات الصوفية،ط 3،دار الكتب العلمية،بيروت،سنة 2005.

46_رونالك ألن نيكلسون،الصوفية في الإسلام،ترجمة:نور الدين برية،ط 2،مكتبة الخاشاجي،سنة 2002.

47_فلاح ابن إسماعيل إبن أحمد،العلاقة بين ديانات التشيع و التصوف، رسالة دكتوراه الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ،1411هـ.

48_أمينة بلهاشمي،الرمز في أدب الجزائري الحديث الرمز الحب والكراهية عند بعض الشعراء الجزائرين والأعجامين،مذكرة التخرج لنيل شهادة ماجستير،تخصص أدب جزائري حديث،كلية الآداب العلوم الإنسانية،قسم اللغة والأدب العربي،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،سنة 2010_2011.

49_نجاة عمار الهاملي،الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث شعر الخليفة التليبسي نموذج،الثقافة العامة،سنة 2008.

50_نيكلسون،الصوفية في الإسلام،ط 2،ج 2،سنة 2002.

51_عبد الحميد،الخطاب معالم الفلسفة الإسلامية،د ط،مطبعة النخلة،الجزائر،سنة 1416_1991.

52_محمد عطاف أبو بكر،مجلة القسم العربي،جامعة بنجاب لاهور،باكستان،العدد 24،سنة 2017،دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي.

53_أنا ماري شميل،أبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف،ط 1،سنة 2003.

54_أحمد حفو،نظرات في التصوف على ضوء الكتاب والسنة،ط 1،دار البيضاء،سنة 1995.

55_القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن الهزان ، الرسالة القشيرية ،و مع حواشيه ، خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـلبنان،ط1،دت.

56_الجيوشي محمد إبراهيم ، بين التصوف و الأدب، مكتبة أنجلو،د ط،د س.

57_ولتر ستيس،التصوف والفلسفة،تح:إمام عبد الفتاح إمام،د ط،مكتبة مدبولي،القاهرة،سنة 1990.

58_ علي حسين الجابري،دروس في الفكر الإسلامي،ط 1،دار الفرقد سوريا_دمشق،سنة 2010.

فهرس موضوعات